

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤/٧/١٤٣١هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» هذه رواية الشيخين المتفق عليها، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر– رضي الله عنهما– وهو الحديث نفسه ساقه بتمامه إلا أنه قدَّم الصيام على الحج فقال «صيام رمضان والحج» فقال رجل يا ابن عمر: الحج وصيام رمضان، فقال له: صيام رمضان والحج، فابن عمر كما في رواية الصحيحين قدَّم الحج، وفي رواية مسلم قدَّم الصيام، ورواية الصحيحين هي التي بنى عليها الإمام البخاري ترتيب كتابه فقدم الحج على الصيام، وعامة أهل العلم في ترتيب مؤلفاتهم الحديثية والفقهية قدموا الصيام على الحج، والأمر سهل والخطْب سهل، في الحديث في قوله –عليه الصلاة والسلام– «بُني الإسلام» فالإسلام بناء متكامل أعمدته وأركانه هذه الخمسة التي أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهي الركن الأول من أركان الإسلام، ولا يصح الإسلام بدون النطق بالشهادتين، ولا يحكم بإسلام شخص حتى يقول لا إله إلا الله، ولا يُكَف عن قتله وقتاله إلا بشهادة أن لا إله إلا الله كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام– "أمرت أن أقاتل حتى يقولوا لا إله إلا الله" يعني حتى ينطقوا بالشهادتين؛ ولذا يقرر أهل العلم أنه لو أن إنسانا وقر الإيمان في قلبه وصدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه فإنه حينئذ لا يُحكَم بإسلامه بل يقاتَل حتى ينطق، ولا يصح أي عمل من الأعمال ما لم ينطق الإنسان بالشهادتين، فلا صلاة ولا تصح الصلاة إلا بعد النطق بالشهادتين، ولا تصح الزكاة ولا تقبل إلا بعد النطق بالشهادتين، وكذا سائر الأعمال لا بد من النطق بالشهادتين فهما الأصل، فالأصل شهادة أن لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله– جل وعلا– والنفي هنا بلا إله قد يقول قائل أنه موجود آلهة تعبد من دون الله فكيف يصح النفي؟ النفي متجه إلى العبودية بحق، أما العبودية بالباطل وهي عبادة ما دون الله– جل وعلا– أو من سوى الله– جل وعلا– فهي وإن كانت موجودة إلا أنها في الحكم معدومة، تقدير الصحيح في كلمة التوحيد لا معبود بحق إلا الله، أما من يقدر المحذوف بقوله لا موجود فهو مخالف للواقع، يوجد من يُعبَد من دون الله لكن من يعبد بحق دون الله– جل وعلا–؟! لا يوجد، فلا معبود بحق إلا الله– جل وعلا– فهذه تنفي العبادة عن جميع من سوى الله– جل وعلا– فلا يتقرب إلى أحد كائنا من كان، لا ملك مقرب ولا لنبي مرسَل بأي عبادة مما اختص الله به منها لأحد كائنا من كان، وبعض من ينتسب إلى الإسلام تجده يردد هذه الكلمة وهو لا يعرف معناها ولا يعمل بمقتضاها، بل يعمل ما

يناقضهان فتجده- نسأل الله السلامة والعافية- وهو يقول لا إله إلا الله يعبد غير الله، ويدعو غير الله، ويذبح لغير الله، ويطوف بغير بيت الله؛ ولذا الذي يعرف معنى لا إله إلا الله ويعبد الله على بصيرة هذا هو الموفَّق، من المشركين من يعرف معنى لا إله إلا الله؛ ولذلك امتنع من قولها، وهو بهذا أعرف بمعناه من كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وهو يقولها بلسانها ويأتي بما يناقضها، وبئس من كانت حالته في أصل الأصول أضل وأجهل من أبي جهل ونظرائه وأقرانه، أبو جهل لما قيل لا إله إلا الله قال: أجعل الآلهة إلهًا واحدا؟! يعرف معناها أنها تنفي جميع المعبودات من دون الله- جل وعلا- وكثير ممن ينتسب إلى الإسلام ويقول لا إله إلا الله تجده يأتي بما يناقضها- نسأل الله السلامة والعافية- وهي لا تصح إلا بشروطها: نفي العبادة عن جميع من سوى الله- جل وعلا- وإثبات العبادة لله وحده، والتوحيد الذي هو الإقرار والإذعان بالعبودية لله وحده لا شريك له هو الهدف الأصلي والحقيقي الذي من أجله خُلِق الإنس والجن {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات:٥٦] يعني ليوحدون، خلقوا لهدف عظيم وأمر جلل وهو تحقيق العبودية لله- جل وعلا- ويسخّر جميع ما يملكه الإنسان ويستطيع أن يفعله لخدمة هذا الهدف ويسخره لتحقيق هذا الهدف الذي من أجله خُلق، هذا الأصل وهذا الشق الأول من هذا الأصل وبعد ذلك الشق الثاني وأن محمدا رسول الله، ومقتضى هذه الشهادة بالرسالة لمحمد -عليه الصلاة والسلام- هو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله ألا يخالف ولا يعصىن يطاع في جميع ما أمر به ونهى عنه تحقيقا لأمر الله- جل وعلا- {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ} [سورة المائدة:٩٢] هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وهو الدعامة الأولى من هذه الدعائم الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والثاني: إقام الصلاة هذه هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فلا حظ في الإسلام لمن لا صلاة له «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» «بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة» فجمع من أهل العلم يفتون بأن تارك الصلاة يكفر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة- نسأل الله السلامة والعافية- والتابعي الجليل يقول: ما رأينا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة، فالصلاة أمرها عظيم، وشأنها وخطبها جسيم، ومع الأسف أن كثيرا ممن ينتسب إلى الإسلام يفرِّط بهذا الأمر العظيم الذي حكم جمع من أهل العلم بكفر تاركه، وكثر في العصور المتأخرة، وفي العصور الأولى لا يكاد يوجد مسلم ينتسب إلى الإسلام ويترك الصلاة حتى قال بعض علماء المغرب في القرن السابع قال: إن الخلاف في حكم تارك الصلاة خلاف نظري لفظي لا حقيقة له؛ لأنه يستبعد أن يوجد مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويترك الصلاة، كيف لو رأى المسلمين الذين ينطقون الشهادتين وينتسبون إلى الإسلام وواقعهم اليوم مع الصلاة، مع الأسف الشديد كثير من المسلمين يفرّط بهذه الفريضة وهذه الشعيرة

العظيمة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وجاء فيها من النصوص ما جاء من النصوص الصحيحة الصريحة «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» «بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة» ثم بعد ذلك ينام على فراشه مرتاحًا ويأكل مبسوطا ويسمر كذلك وهو يترك الصلاة- نسأل الله العافية- لا شك أن هذا من أعظم الخذلان للإنسان وأعظم الخسارة في الدنيا والآخرة أن يترك الصلاة، ثم بعد ذلك الركن الثالث من أركان الإسلام إيتاء الزكاة، والزكاة ركن ركين من أركان الإسلام الجمهور على أن من تركها فهو على خطر عظيم؛ لأنها قرينة الصلاة في كثير من نصوص الكتاب والسنة، وقاتل الصديق- رضي الله عنه وأرضاه- مانعي الزكاة وأرغمهم على دفعها، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا لقاتلتهم عليها يعني من الزكاة، فالزكاة أمرها خطير وحكم جمع من أهل العلم- كما هو رواية في مذهب أحمد وقول لأصحاب الإمام مالك- بكفر الممتنع من أداء الزكاة، أما بالنسبة للذي لا يقر ولا يعترف بوجوب الصلاة ولا بوجوب الزكاة فهذا كافر إجماعا، كافر بالإجماع لا يخالف في ذلك أحد لكن الخلاف فيما لو اعترف بوجوب الزكاة ثم امتنع من دفعها، الجمهور على أنه لا يكفر لكنه على خطر عظيم ويقاتَل وتؤخذ منه قهرا لكنه لا يحكم بكفره، والركن الرابع في رواية الصحيحين الحج، حج بيت الله الحرام وهو ركن ركين من أركان الإسلام وقال بكفره من قال بكفر الممتنع من الزكاة، والجمهور على أنه على خطر عظيم وإن كان لا يكفر والنصوص والوعيد الشديد على من ترك الحج كما في قوله- جل وعلا- {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [سورة آل عمران:٩٧] ومن كفر، وجاء في الآثار عن عمر وغيره أنه بعث إلى الأمصار أن ينظروا من كانت له جِدَة- يعني مال وقدرة واستطاعة- فلم يحجوا أن يضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين، فالأركان هذه شأنها عظيم وخطرها جليل جسيم، فعلى الإنسان أن يخشى الله ويتقيه ولا يلقى الله وقد فرط في ركن من أركان الإسلام، وأي بناء فقد منه ركن تهدم باقيه، البناء لا يقوم إلا على أركان إذا انهدم ركن منه وهو جانبه الأقوى تهدم باقيه؛ ولذا يختلف الأمر بين من ترك ركنا ومن ترك واجبا، الواجب وإن كان يأثم بتركه إلا أنه يبقى معه أصل الدين وأنه مسلم وأنه لا يخرج بذلك من الإسلام إلا على قول الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة، المقصود أن الحج إلى بيت الله الحرام شأنه عظيم، والتفريط فيه لا شك أنه من أظهر أنواع الخذلان، وكذلك الخامس أو الرابع على اختلاف الروايات واختلاف أهل العلم في ترتيب كتبهم، الصيام صوم شهر رمضان ولا يجوز التفريط بيوم من أيامه، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بالامتناع عن المفطرات، والهدف من شرعية الصيام تحقيق التقوى كما في قوله- جل وعلا -{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} [سورة البقرة:١٨٣] لأي شيء؟ {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة:٢١] والتقوى هي وصية الله- جل وعلا-

للأولين والآخرين وعليها المدار، مدار الأعمال كلها إنما شُرِعَت من أجل تحقيق التقوى كما في قوله- جل وعلا- بالنسبة للصلاة {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ} [سورة العنكبوت:٤٥] يعني تحقق التقوى في قلب المسلم، فالصلاة تأمر وتنهى {يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [سورة هود:٨٧] {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ} [سورة العنكبوت:٤٥] لكن قد يقول قائل: إن كثيرا من المسلمين يصلون ومع ذلك لا يحققون التقوى التي هي فعل الأوامر واجتناب النواهي، فتجده يصلي ويفرط ببعض الواجبات، وتجده يصلي ويرتكب بعض المحرمات، كيف تحققت التقوى مع فعل المحظورات وترك المأمورات بأداء الصلوات؟ نقول نعم تحقق التقوى بأداء الصلاة لكن المراد بإقام الصلاة المراد به الإتيان بها على الوجه المأمور به «صلوا كما رأيتموني أصلي» أما الصلاة التي تؤدى بصورتها الظاهرة مع عدم تحقيق الإخلاص والمتابعة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- فهذه أثرها في النفس ضعيف؛ ولذا توجد معها المخالفات، يوجد معها ترك الأوامر ويوجد معها ارتكاب النواهي، ولا تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لأن صاحبها لم يأتِ بها على الوجه المأمور به، الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي التي يتم فيها الاقتداء بالنبي –عليه الصلاة والسلام- امتثالا لقوله «صلوا كما رأيتموني أصلي» أما الصلوات التي يأتي بها الإنسان على العادة، ويدخل إلى المسجد ويخرج كما دخل، ما استفاد منها لا في علمه ولا في عمله ولا في قلبه ولا في خشوعه هذه أثرها ضعيف، والصلوات الخمس كفارات لما بينها، الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والعمرة إلى العمرة كفارات لما بينها ما لم تغش كبيرة، ما اجتنبت الكبائر، فهل الصلاة التي يأتي بها الإنسان بصورتها الظاهرة ولا يستشعر منها شيئا في حقيقته وباطنه هل تكون بهذه المثابة، تنهاه عن الفحشاء والمنكر وتحقق له التقوى؟! واقع كثير من المسلمين يشهد بضد ذلك؛ لأنه لم يأت به على الوجه المأمور به، والصلاة التي تكفر الذنوب هي التي يؤتى بها على الوجه المأمور به، وبعض الناس يخرج من صلاته بأعظم أجرها، وبعضهم يخرج منها بنصف أجرها، وبعضهم يخرج منها بربع الأجر، وبعضهم يخرج منها بالعشر، وبعض الناس يخرج كما دخل، لكن مثل هذا إذا جاء بالصلاة بأركانها وواجباتها وشروطها قال العلماء إنها صحيحة، يعني أنها مسقطة للطلب فلا يؤمر بإعادتها، لكن الآثار المرتبة عليها من الأجور العظيمة وتكفير السيئات والنهي عن الفحشاء والمنكر لا يتحقق بذلك، وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- يقول الصلاة التي لا يخرج صاحبها منها إلا بعشرها هذه إن كفرت نفسها فبها ونعمت، هذه إن كفرت نفسها يكفي فكيف تكفر ما بينها وبين الصلاة الأخرى؟! نأتي إلى الزكاة الزكاة برهان على صدق إيمان صاحبها؛ لأن المال عزيز على النفوس فإذا أخرجه إنسان بعد أن تعب في كسبه دل على صدق إيمانه فهي برهان، والصيام كما قال- الله جل وعلا- {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة:١٨٣] نقول في ذلك مثل

ما قلنا في الصلاة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما ما لم تغش كبيرة، قد يقول قائل إن الإنسان يصم رمضان كاملا من الأول إلى الأخير، وتجده يصوم بالنهار ويزاول معاصي بالليل نقول هذا الصيام لم يقع على الوجه المأمور به ولم يتم فيه الإخلاص المطلوب ولا المتابعة للنبي –عليه الصلاة والسلام– وإلا لقاد صاحبه إلى التقوى؛ لأن هذا في كلام الله– جل وعلا– الذي لا خُلف في خبره {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة:٢١] ولعل من الله واجبة، فمن ينشد التقوى على بأن يصلي صلاة تامة على الوجه الشرعي الذي جاء عن النبي –عليه الصلاة والسلام– ومن أراد صياما يحقق له التقوى الذي وعد به في قول الله– جل وعلا– {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة:٢١] فليصم صياما كما جاء عن النبي –عليه الصلاة والسلام– فيحفظ صيامه، وكذلك من أراد الحج «فمن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيومَ ولدته أمه » لكن ما الحج الذي يرجع به الإنسان كيوم ولدته أمه؟ أي ليس عليه خطيئة؟ هو الحج الذي يؤدى على هدي النبي –عليه الصلاة والسلام– امتثالا لقوله –عليه الصلاة والسلام– «خذوا عني مناسككم » والحج المبرور– كما يقرر أهل العلم– الذي لا يزاول فيه معصية ويرجع صاحبه منه بحال أفضل من حاله قبله، ونجد في كثير من المسلمين نية صالحة وحرص على الخير لكنه عوَّد نفسه في حال الرخاء على شيء من التفريط، تجده في سائر العام يقضي الأوقات بالقيل والقال، ثم يأتي إلى الحج ويقول أربعة أيام أو خمسة نضبط النفس فيها فلا نتكلم إلا بخير ولا نعمل إلا خير، لكنه إذا لم يتعرف على الله في الرخاء طول أيام حياته فإنه لن يستطيع أن يملك نفسه في هذه الأيام القليلة، فتجده لا بد أن يحصل منه شيء من الخلل؛ لأنه لم يتعرف على الله في الرخاء فلم يعرفه ربه في الشدة، وتجد الإنسان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ويلزم المسجد، فإذا كان حاله قبل ذلك حال الصالحين المتقين الحافظين لجوارحهم تجده كذلك ويستفيد من اعتكافه فائدة عظيمة، لكن إذا كان في طول أيام حياته على شيء من التفريط كما قلنا في الحج، ثم اعتكف في العشر الأواخر تجد النفس تنازعه إلى ما كان يعمله قبلك ذلك، وتجد الاعتكاف أشق عليه من حمل الأثقال، ثم بعد ذلك في النهاية إذا أعلن عن الشهر عن خروج شهر رمضان ودخول شهر شوال خرج من المسجد بعد صلاة المغرب، لينظر إلى حاله إذا كان اعتكافه مؤديا للغرض ومحققا للهدف الذي من أجله شرع تجد حاله أفضل مما كان عليه قبل الاعتكاف، وإذا كان اعتكافه على شيء من الغفلة والخلل تجد الحال لا تتغير، فانظر إلى حاله قبل الاعتكاف إذا كانت تفوته صلاة العشاء فسوف تفوته صلاة العشاء ليلة العيد وهذا أمر مجرَّب، وخرج من الاعتكاف بعد صلاة المغرب ثم ذهب إلى أهله وانبسط وكأنه تخلص من حمل عظيم، ثم يؤذَّن لصلاة العشاء ويستمر على عادته في القيل والقال ثم يفوته شيء من صلاة العشاء على عادته؛ ولهذا يقال إنه لم يتحقق الأثر الكامل على هذا الاعتكاف، وهذا شيء مشاهَد يا إخوان ليس من فراغ، بل مشاهَد وشيء عانيناه من أنفسنا ومن حولنا، الإنسان إذا أدى العبادة على الوجه

المشروع وعلى الوجه المأمور به تجده يتلذذ بها وينشط لها ويرتاح بها كما كان النبي -عليه الصلاة والسلام يقول- «أرحنا يا بلال بالصلاة» ومع الأسف حال كثير من الناس اليوم ولو لم ينطق بلسانه، بل بعضهم ينطق بلسانه، سُمِع من بعضهم، لكن كثير من الناس ولو لم ينطق بلسانه تجد لسان الحال يقول أرحنا من الصلاة، بدلا من أن يقول أرحنا بالصلاة لماذا؟ لأن حب هذه الشعيرة ما تغلغل في قلبه ولا صارت أحب إليه من كل شيء كما وُصِف الصحابة بذلك، يعني في الجهاد قال الأعداء بعضهم لبعض انتظروا حتى يدخلوا في صلاتهم فإنها أحب إليهم من أموالهم وأولادهم ثم أغيروا عليهم، هذا حال الصحابة، وهذا حال قدوتهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- «أرحنا يا بلال بالصلاة» السلف كثير منهم صرَّح بأنه جاهَد في أول الأمر، جاهَد نفسه لقيام الليل وصيام الهواجر ثم بعد ذلك تلذذ به لذة لا يقدرها قدرها إلا من وقع فيها، تجد الإنسان يصرف الأوقات وينفق الأوقات الطويلة في السمر مع الأقران فيما لا ينفع وإذا ضاق عليه الوتر بحيث لم يبق إلا مدة يسيرة إما أن يوتر بركعة أو بثلاث ركعات لا يعقل منها شيئا لماذا؟ لأن هذا العمل وهذه العبادة ما دخلت إلى سويداء قلبه، ما صارت هي الهم الذي يرتاح به، بل هي الهم الذي يرتاح منه، شئنا أم أبينا هذا واقع كثير من المسلمين مع الأسف الشديد، ويتكلم الإنسان من معاناة ليس من فراغ، وإلا بعض الناس ينسى نفسه إذا صف في الصلاة وهذا وُجِد في السلف، ينسى نفسه حتى إنه بدلا من البنج الذي يستعمل في العمليات الجراحية يصف في الصلاة كما حصل لابن الزبير، ينسى نفسه ولا يشعر بما حوله، وبعضهم يسقط البيت وهو في صلاته فلا ينصرف منها، ووجد من مر على قدمه خيط رفيع جدا من ثوبه ففزع فزعا شديدا وقطع صلاة الفريضة وشتان بين الأمرين، شتان بين هذا وهذا، شتان بين مشرق ومغرب، لنراجع أنفسنا في عباداتنا وفي معاملاتنا مع ربنا- جل وعلا- لأنه لا تخفى عليه خافية {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [سورة الفجر:١٤] تجد الإنسان بعض من ينتسب طلاب العلم وغيرهم من عامة الناس إذا كان بين الملأ وبين الناس تجده يتخاشع ويتنسَّك وإذا خلا بنفسه وأراد أن يؤدي ركعتين تعودهما من الرواتب وما أشبه ذلك، تجده يؤدي صلاة لا يعقل منها شيئا والله المستعان.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/٧/٢١هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

ففي الدرس الماضي ذكرنا حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- في الصحيحين وغيرهما في أركان الإسلام ومبانيه العظام، والأركان السابقة وغيرها مما يتقرب به إلى الله- جل وعلا- يشترط لصحته وقبوله شرطان لا بد من توافرهما لصحة العمل وقبوله وإلا كان هذا العمل هباء منثورا، أولهما: الإخلاص لله- جل وعلا- وثانيهما: متابعة النبي –عليه الصلاة والسلام- أما الشرط الأول: وهو الإخلاص فقد دلت عليه النصوص الكثيرة المتظافرة القطعية من نصوص الكتاب والسنة "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" وغيرها من الآيات، وجاء فيها أيضا حديث عمر بن الخطاب- رضي الله تعالى عنه- في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول «إنما الأعمال بالنيات» وإنما أداة حصر «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» فلا عمل إلا بنية؛ لأن إنما أداة حصر تساوي النفي والاستثناء، وقد جاء في بعض الألفاظ «لا عمل إلا بنية» فلا يصح العمل المجرد من النية مما يتقرب به إلى الله- جل وعلا- «إنما الأعمال» «ال» هذه جنسية تشمل جميع الأعمال التي يتقرب بها إلى الله- جل وعلا- أما ما كان من العبادات فهذا شرط لصحته فلا يصح إلا بنية، وأما الأعمال التي هي في الأصل مباحة من أمور الدنيا فالنية تحوِّلها من عادة إلى عبادة، وبإمكان المسلم الموفق أن يحول جميع أعماله من العادات والعبادات إلى عبادات ويكون متقلبا في العبادة، ولو كان ظاهر العمل مما ينتفع به في دنياه كالأكل والشرب والنوم والكسب والتجارة وغير ذلك من الأعمال حتى ما يُظَن أنه من حظ البدن محضا كالترفيه مثلا قد ينقلب بالنية الصالحة إلى عبادة، النوم إذا نوى به التقوي على عبادة الله –جل وعلا- صار عبادة، الأكل إذا نوى به التقوي على عبادة الله- جل وعلا- صار عبادة، الكسب إذا نوى به أن يكف نفسه عن سؤال الناس وأن يترك من وراءه أغنياء عن التكفف أن يكونوا عالة على الناس وأن ينفق ما جمعه فيما يرضي الله- جل وعلا- هذه عبادة وقل مثل هذا في جميع أمور الدنيا، وبعض الناس محروم قد لا ينوي في العبادات فضلا عن كونه ينوي في العادات، هذا الذي يذهب في نهاية كل شهر إلى الأسواق ويشتري ما يحتاجه ويحتاجه من تحت يده لمدة شهر كامل هذا إما أن يعود لا له ولا عليه إذا كان مما يشتريه ويقتنيه في حيز المباح، أو يعود بشرائه هذه الحاجيات متعبدا لله- جل وعلا- محققا الهدف الذي من أجله وجد وهو تحقيق العبودية لله- جل وعلا- ولذا جاء أن الإنسان يؤجر على كل شيء حتى ما يضعه في فم امرأته

يؤجر على ذلك، فإذا اشترى ما يحتاجه وما يحتاجه أهل وولده ينوي بذلك التقوي على طاعة الله وأن يغني من تحت يده من سؤال الناس وتكفف الناس هذا يؤجر على هذه النية، إنما الأعمال بالنيات، فلا عمل إلا بنية، صورة العمل المجردة عن النية هذه لا تغني عن صاحبها شيئا؛ ولذا جاء في الخبر وإن كان فيه ضعف عند أهل العلم جاء فيه «نية المرء خير من عمله» وهو محمول- لو لصح- على أن النية المجردة عن العمل أفضل من العمل المجرد عن النية؛ ولذا قد يشارك الإنسان وهو في فراشه أهل القيام والتعبد؛ لأنه نوى أن يقوم للتهجد لكنه غلبه النوم، فعلى هذا على الإنسان أن يستحضر النية في جميع أعماله ليؤجر عليها وليوفَّر له الأجر العظيم، والمسألة مسألة استحضار لهذا المعنى في أول الأمر ومجاهدة النفس عليه ثم بعد ذلك يكون ديدنا له، يكون ديدنا للمرء لا يكلفه شيئا، تجده في كل أمر يقدم عليه أو أمر يتركه يقصد بذلك وجه الله- جل وعلا- فيؤجر عليه من هذه الجهة ولو كان في أصله عادة محضة لكنه بالنية الصالحة يتحول إلى عبادة "وإنما لكل امرئ ما نوى" ليس لك إلا ما نويت، فإذا نويت الخير والتقرب إلى الله- جل وعلا- حصلت لك هذه النية وحصل لك هذا الأجر العظيم المرتب على هذه النية، ولو نويت خلاف ذلك فالأمر بضد ذلك، والله- جل وعلا- لا تخفى عليه خافية، قد يُظهر الإنسان للناس أنه ناسك متعبِّد وهو في الحقيقة على خلاف ذلك، الله- جل وعلا- يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [سورة الفجر:١٤] فيظهر للناس أنه ينوي بهذا العمل الخير؛ ولذا جاء في الحديث «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» من فارق بلده إلى بلد آخر ينوي بذلك أن هذا البلد ويقصد بهذا أن هذا البلد الذي انتقل منه ليس فيه من يعينه على تحقيق الهدف الذي هو العبودية، والبلد الذي انتقل إليه فيه من يعينه على ذلك، فإذا أظهر للناس هذا الأمر فإن كان صادقا في دعواه فهجرته إلى الله ورسوله، وإن كان كاذبا في دعواه إما هاجر لأمر من أمور الدنيا لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، ولا شك أن الجملة الأولى «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» سياقها سياق مدح، والجملة الثانية سياقها سياق ذم، أما المدح في الجملة الأولى فهو ظاهر من كانت هجرته إلى الله ورسوله فإن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته إلى الله ورسوله كما يقدر أهل العلم ثوابا وأجرا؛ لأنه لا يمكن أن يتحد الشرط مع الجزاء، يعني ما تستطيع أن تقول من قام قام، ومن أكل أكل، لا، إنما لا بد من هذا التقدير ليختلف الشرط مع الجزاء، الجملة الثانية التي سيقت مساق الذم من كانت هجرته لدنيا يصيبه أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، قد يقول قائل إذا ضاقت بي السبل في بلدي ولم أجد عملا أعمله أتقوت منه فهاجرت أو انتقلت إلى بلد آخر من أجل أن أجد فرصة عمل أكسب من ورائها القوت، أو بحثت عن زوجة في بلدي فلم أجد زوجة تناسبني أو لم أجد من يناسبني فانتقلت إلى بلد آخر هل يلام على ذلك؟ يلام من انتقل من بلده إلى بلد آخر ليكسب المال

الحلال والكسب الحلال، أو هاجر أو انتقل من بلد إلى آخر ليجد امرأة صالحة تعينه على أمور دينه ودنياه يلام على ذلك؟ لا يلام، والجملة سيقت مساق الذم، فمقتضى ذلك أنه يلام، لكن يلام في صورة واحدة، وأما إذا أظهر للناس أنه هاجر لله ورسوله وهو في حقيقة الأمر إنما هاجر من أجل الدنيا أو من أجل المرأة، أظهر للناس أنه هاجر لله ورسوله، من سأله إلى أين تذهب؟ قال أذهب إلى البلد الفلاني أذهب مثلا إلى مكة للمضاعفات، وقد جاء إلى مكة من أجل الدنيا أو من أجل المرأة، من أجل المضاعفات مضاعفات الحسنات في مكة وفي المدينة ثم أظهر للناس هذا وأن هذا هو السبب الباعث والناهز له للانتقال من بلده إلى بلاد الحرمين، وهو لا يريد بذلك هذه المضاعفات وهذه الأجور المضاعفة إنما يريد الدنيا أو يريد المرأة، إذا أظهر أنه هاجر لله ورسوله وهو في الحقيقة إنما هاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فإنه حينئذ يقع فعله موقع الذم، كما جاءت الجملة الثانية سيقت مساق الذم، وإلا فالأصل أن من انتقل من بلده إلى بلد آخر لكسب حلال أو يتزوج امرأة تعينه على أمر دينه ودنياه هذا لا يلام ولا يذم، لكن مثل ما قلنا أنه إذا أظهر للناس أنه إنما هاجر لله ورسوله وهو في الحقيقة هاجر لدنيا أو امرأة هذا الذي يلام، ونظير ذلك من جاء إلى المسجد قبل غروب الشمس بنصف ساعة من يوم الإثنين أو يوم الخميس ومعه التمر ومعه القهوة، وفرش السفرة ووضع التمر ووضع القهوة والفناجيل وذهب ليحضر الماء على السفرة ودعا الناس وهو ما صام فإذا أذن أكل من التمر هذا يُظهِر للناس أنه صائم، وإلا فالأصل في عمله أنه مباح، الأكل في المسجد مباح لكن هذا أظهر للناس أنه صائم وحينئذ يُلام على هذا التصرف وإن كان الأكل في المسجد لا إشكال فيه جائز، فكونه يتحرى هذا الوقت مظهرا بعمله وبلسان حاله أنه صائم وهو في الحقيقة ليس بصائم هذا يذم أو ما يذم؟ هذا يذم بلا شك ومثله من أظهر للناس أنه إنما هاجر لله ورسوله وهو في الحقيقة قد هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها حينئذ يلام، وإلا فالأصل أن هذا العمل مباح وعلى هذا فمقام النية عظيم جدًّا، يعني من الناس من تتحوَّل عباداته إلى أوزار وعظائم وموبقات بسبب عدم الإخلاص فيها، وبسبب التشريك فيها، وبسبب دخول الرياء فيها، وبالمقابِل من الناس من تتحول أعماله العادية إلى عبادات، وكل ذلك سببه النية إما أن تكون صالحة أو غير صالحة، وإما أن يكون العمل مقصودا لله- جل وعلا- أو غير مقصود، الشرط الثاني من شرطي القبول للعمل أن تتحقق فيه المتابعة للرسول -عليه الصلاة والسلام- بأن يكون صوابًا على هدي من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما جاء عنه «صلوا كما رأيتموني أصلي» «وخذوا عني مناسككم» ولكم في رسول أسوة حسنة، فالعمل إذا لم يكن صوابا على السنة فإنه حينئذ لا يُقبَل، كما أنه إذا لم يكن خالصا لله- جل وعلا- فإنه حينئذ لا يُقبَل، قال الفضيل بن عياض في قوله- جل وعلا- {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} [سورة هود:٧] قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي كيف ذلك؟ قال إذا لم يكن العمل خالصا لله- جل وعلا- فإنه لا يقبل، وإذا لم يكن صوابا على سنة

رسوله -عليه الصلاة والسلام- فإنه حينئذ لا يُقبَل، وجاء في الحديث الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي لفظ «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» يعني مردود عليه غير مقبول، وهل يكفي الرد فقط ويخرج منه كفافا إذا ابتدع في الدِّين في الحديث الصحيح «كل بدعة ضلالة » إذا لم يكن على هدي من سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- فإنه ضلالة يشمله قوله «وكل بدعة ضلالة» فجميع ما يبتدع في الدين مما يتقرب به إلى الله- جل وعلا- ولم يسبق له شرعية من كتاب ولا سنة فإنه ضلالة، وجاء في رواية «وكل ضلالة في النار» وكل هذه من صيغ العموم لا يخرج منها شيء، على هذا فالتقسيم الذي يتداوله بعض أهل العلم أن من البدع ما يستحسن ومنها ما يُذَم، ومنهم من يقسم البدع إلى خمسة أقسام: بدع واجبة، وبدع مستحبة، وبدع مباحة، وبدع مكروهة، وبدع محرمة، هذا التقسيم كما قال الشاطبي تقسيم مختَرَع لا يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة، بل هو مخترع مبتدع، فليس في البدع ما يُمدَح وليس في البدع ما يستحسن؛ لأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «كل بدعة ضلالة» قد يستشكل بعض الناس مقالة عمر في صحيح البخاري لما جمع الناس في التراويح على إمام واحد وخرج إليه في ليلة وهم يصلون خلف إمام واحد قال: نعمت البدعة، ونِعْمَ مدح بخلاف بئس فدل على أن من البدع ما يُمدَح، نقول: هذا العمل هل هو بدعة أو ليس ببدعة؟ منهم من قال أنه بدعة لغوية، والبدعة اللغوية ما عُمل على غير مثال سابق، فهل جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح عُمل على غير مثال سابق؟ لا، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- صلى بالصحابة ثلاث ليال أو ليلتين ولم يخرج في الثانية جماعة، صلوا خلفه جماعة في قيام رمضان، فهذا سبق له شرعية من السنة، قد يقول قائل لماذا تركها النبي -عليه الصلاة والسلام- فترْكه لها يدل على رغبة عنها ونسخ لها؟ نقول إنما تركها النبي -عليه الصلاة والسلام- لا رغبة عنها ولا نسخا لها وإنما خشية أن تُفرَض على الناس فلا يستطيعون القيام بها كما قال ذلك -عليه الصلاة والسلام- أنه لم يخفَ عليَّ مكانكم ولكن خشيت أن تفرض عليكم فمن رحمته -عليه الصلاة والسلام- ورأفته بأمته ترك قيام رمضان جماعة وإن كان مشروعًا، إلا أنه خشي أن يفرض على الأمة فلا يستطيعون القيام به فسبق له شرعية فليس ببدعة لا لغوية ولا شرعية أيضًا، ليس ببدعة عمل عمر- رضي الله عنه- وجمعه للناس على إمام واحد ليس ببدعة لا لغوية كما يقول جمع من أهل العلم، وليس بشرعية من باب أولى وإن قال من قال وقد أساء الأدب والبدعة بدعة ولو كانت من عمر، مع الأسف أن هذا قاله بعض الشراح لكن هذه ليست ببدعة، ولو افترضنا أن عمر جمع الناس على غير مثال سابق لو افترضنا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- ما صلاها ثم جمعهم عمر وقد صح عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال «اقتدوا باللذَين من بعدي» وقال -عليه الصلاة والسلام- «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» عثمان- رضي الله تعالى عنه- لما

أوجد الأذان الأول في يوم الجمعة لما كثر الناس وتوسعت المدينة ورأى أن من المصلحة أن يجمعوا قبل وقت الصلاة أو ينبَّهوا قبل دخول وقت الصلاة ليتأهبوا لها داخل في هذا الحيِّز في «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» ولذا اتفق على شرعية الأذان الأول من يوم الجمعة اعتمادا على عمل عثمان- رضي الله عنه- وموافقة الصحابة فلم يخالف منهم أحد لأنه خليفة راشد أمرنا بالأخذ بسنته- رضي الله عنه وأرضاه- والأمثلة على هذا كثيرة لكن يبقى أن من لا مدخل له في التشريع غير الرسول -عليه الصلاة والسلام- لا يوجَد أحد مشرِّع غير الرسول -عليه الصلاة والسلام- واكتساب الشرعية في عمل الخلفاء الراشدين إنما هو من قوله -عليه الصلاة والسلام- «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» ولذا إذا عارض قول أحد من هؤلاء الخلفاء الراشدين الذين أمرنا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم والاستنان بسنتهم لو عارض قول واحد أو فعل واحد ما جاء عن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم نقبل كلامه؛ لأن فعله في هذه المسألة أخص من عموم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» فلا قدوة إلا الرسول وما جاء عن الخلفاء الراشدين فإنما اكتسب الشرعية من قوله -عليه الصلاة والسلام- «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» هناك أعمال وُجِدَت أسبابها في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- ولم يفعلها هذا المقرَّر عند أهل العلم أنها داخلة في حيِّز البدع، فكل أمر يوجَد سببه ويقوم سببه في عصره -عليه الصلاة والسلام- ولم يفعله فإنه في حيز البدع عند أهل العلم، لكن يبقى أنه لا بد أن يكون قيام السبب في عصره -عليه الصلاة والسلام- على نفس المستوى والقوة التي وُجِدَت بعد ذلك، مثال ذلك ما يوضع من خطوط لتعديل الصفوف في المساجد، قام السبب في عهده -عليه الصلاة والسلام- فلم يفعله فهل نقول إن هذه الخطوط بدع لأن السبب قام في عهده -عليه الصلاة والسلام- ولم يفعل ذلك فهو بدعة، أو نقول أن السبب ليس في القوة مثل وجوده في الأزمان المتأخرة؟! في عهده -عليه الصلاة والسلام- هو بنفسه يهتم بتعديل الصفوف والصحابة عندهم من الحرص على تعديل الصفوف وتقويمها ما لا يوجد عند من جاء بعدهم، وأمر آخر وهو أن الصفوف في عهده -عليه الصلاة والسلام- قصيرة ليست مثل الصفوف في المساجد الكبيرة الموجودة الآن، مع عدم أو قلة اكتراث الناس بتعديل الصفوف واهتمامهم بشأن صلاتهم، فوجود ما يعينهم على تعديل الصفوف وتسوية الصف من تمام الصلاة وما لا يتم الأمر المشروع إلا به فهو مشروع، نقول السبب قام لكنه ليس بقوة السبب الموجود في العصور المتأخرة لطول الصفوف بعد ذلك ولقلة اهتمام الناس بشأن صلاتهم في الأزمان المتأخرة، فلا بد من وجود ما يعينهم على ذلك، نحن رأينا مصليات العيد قبل وجود هذه الفرشات التي تضبط الصفوف وجدناهم أقواسا، يصلون في مصليات العيد أقواسا لا يمكن أن تعتدل الصفوف مع طول الصف فلا بد من وجود شيء يدلهم على ذلك، على كل حال إذا تم الأمر بدون إحداث فهو الأصل، إذا تم الأمر بدون مثل

هذا الإحداث الذي هو الخط وإذا لم يتم تقويم الصف واستقامة الصف إلا بارتكاب هذه المخالفة المغمورة في جانب المصلحة التي يترتب عليها تقويم الصف وإقامة الصف من تمام الصلاة، فمثل هذا يُغتفر ويتجاوز بخلاف من تجاوز ذلك إلى بدع زادت على هذا الأمر وعمت في كثير من أقطار المسلمين، منها البدع المفسقة، ومنها البدع المغلظة التي قد تصل بمرتكبها إلى أن يخرج من الدين وهو لا يشعر- نسأل الله السلامة والعافية- من استغاثة بالأموات، وطواف على القبور وغير ذلك من طلب الحاجات ودعاء غير الله- جل وعلا-، يا فلان أغثني، يا فلان كذا، يا فلان اغفر لي، وصل إلى أن يقال يا فلان اغفر لي- نسأل الله السلامة والعافية فعلى الإنسان أن يستمسك بالعروة الوثقى وأن يكون مخلصا لله جل وعلا في جميع أعماله ولا يقدم على عمل يتقرب به إلى الله جل وعلا إلا وعنده فيه برهان من الله أو من رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/٧/٢٨هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

ففي الدرس الماضي ذكرنا الشرطين لقبول أي عمل يتقرب به إلى الله- جل وعلا- وهما: إخلاص العمل لله- جل وعلا- والمتابعة لرسوله -عليه الصلاة والسلام- وذكرنا الأدلة على ذلك وأوردنا ما يورده بعض من يقسم البدع إلى حسنة وسيئة وما أتممنا الكلام فيه، قول عمر نعمت البدعة هذه المقالة لعمر مخرجة في- الصحيح- صحيح البخاري وهي ثابتة إليه ولا مجال لنفيها وذكرنا هذا في الدرس الماضي، وأن عمر- رضي الله عنه- لما جمع الناس على إمام واحد لصلاة التراويح ثم خرج إليه في ليلة من الليالي فأعجبه هذا الصنيع فقال نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها يعني صلاة آخر الليل خير منها، فإطلاق البدعة على صنيع عمر في جمعهم على إمام واحد قررنا في الدرس الماضي أنه ليس ببدعة شرعية قطعا لأنه عُمِل وله أصل يُعتمَد عليه من سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- فقد صلى بالناس ليال ثنتين أو ثلاث فلما رآهم كثروا وامتلأ بهم المسجد خشي أن تفرض عليهم فلا يستطيعونها، وهذا من شفقته ورحمته بأمته -عليه الصلاة والسلام- فعدل عنها ولم يخرج إليها لا نسخا لها ولا عدولا عنها، وإنما خشية أن تفرض كما جاء ذلك مصرحا به في بعض الروايات لما مات النبي -عليه الصلاة والسلام- وانقطع الوحي وثبتت الأحكام فلا يزاد فيها ولا ينقص وأُمِنَت وأُمِنَ ما كان يخشاه النبي -عليه الصلاة والسلام- رأى عمر وهو الخليفة الراشد الذي أمرنا بالاقتداء به أن يجمع الناس على إمام واحد؛ لأنه رآهم أوزاعا متفرقين، ولا شك أن الجماعة مطلب شرعي، الاجتماع والائتلاف مطلب شرعي فحققه عمر- رضي الله تعالى عنه وأرضاه- في جمعهم على إمام واحد لما خرج إليهم وقال: نعمت البدعة لما أعجبه المنظر، فهذه ليست ببدعة شرعية قطعا؛ لأنها عملت على أثر منه -عليه الصلاة والسلام- فقد جمَّع بهم في ليلتين أو ثلاث على اختلاف الروايات، وليست ببدعة لغوية، شيخ الإسلام وجمع من أهل العلم يقولون: هذه بدعة لغوية والبدعة اللغوية ما عُمِل على غير مثال سابق، وقد عملت على مثال سابق، فهي ليست ببدعة لغوية ولا شرعية إذًا ماذا تكون؟ الشاطبي وجمع ممن يقول بثبوت المجاز يقول هذا مجاز لأنه استعمال للفظ في غير ما وضع له وهذا لا إشكال فيه عند من يقول بالمجاز، لكن الذي لا يقول بالمجاز وهو المرجح عند أهل التحقيق من أهل العلم ماذا يقول؟ يقول إن هذا التعبير والأسلوب من باب المشاكلة والمجانسة في التعبير وهو أسلوب مطروق ومعروف في النصوص وفي لغة العرب {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [سورة الشورى:٤٠] السيئة الأولى سيئة والثانية

وهي معاقَبة الجاني ليست بسيئة لكن إطلاق السيئة على معاقبة الجاني من باب المشاكلة والمجانسة في التعبير.

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

هذه مشاكلة ولا يمكن أن يقال أن الجبة والقميص يمكن أن تطبخ اللهم إلا إذا كان بها أوساخ لا تزول إلا بالطبخ لكن هذا بعيد، لكن يأمرهم ابتداء أن يطبخوا له جبة وقميصا إنما يأمرهم أن يخيطوا له جبة وقميصا فهذا أسلوب معروف في النصوص وفي لغة الغرب وفي أشعارهم وفي استعمالاتهم يسمونه المشاكلة، قد يقول قائل أنه لم يقل أحد: ابتدعت يا عمر فقال نعمت البدعة، من أجل أن نقول هذه مشاكلة، علماء البديع لما ذكروا هذا النوع من أنواع البديع قالوا إنه التعبير بجنس ما شاكله مما ورد عليه حقيقة أو تقديرا، فكأن عمر خشي أن يقال له ابتدعت يا عمر أو كأنه توقع أن يقال له ابتدعت يا عمر فقال نعمت البدعة هذه، وعلى كل حال الخلفاء الراشدون لا يقال في صنيعهم بدعة؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» «اقتدوا باللذَين من بعدي» ولذا في موطأ مالك عن أبي بكر الصديق- رضي الله تعالى عنه وأرضاه- أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من المغرب بعد الفاتحة {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} [سورة آل عمران:٨] هذا ثابت عنه في الموطأ وغيره، ولم يسبق أن نقل عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال ذلك، ومعروف أن العبادات توقيفية فإما أن يقال أن هذه سنة خليفة راشد أمرنا بالاقتداء به، أو نقول إن هذا الصنيع لا يمكن أن يصنع من قبل الرأي والاجتهاد لأن العبادات توقيفية فيكون عند أبي بكر دليل ولو لم نطلع عليه لأن ما لا يقال بالرأي عند أهل العلم حكمه حكم المرفوع وهذا من جنسه، وعمر مثل ما ذكرنا في صلاة التراويح، وعثمان ذكرنا له أيضا الأذان الأول من يوم الجمعة وكل هذا مضى في الدرس الماضي، لكن هذا من باب التوضيح؛ لأنا ذكرنا أنها ليست ببدعة لا لغوية ولا شرعية إذًا ماذا تكون؟ أجبنا عنه في هذا الدرس، وموضوع درسنا اليوم فيما رواه الشيخان في حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات» في بعض الروايات «متشابهات» وبعضها «مشبَّهات» «وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» هذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من دواوين الإسلام، وهو حديث عظيم عظمه أهل العلم حتى قالوا إنه عليه مدار ربع الإسلام، فهو رابع أربعة أحاديث يدور عليها الدين كله، وبعضهم يقول ثلاثة وبعضهم قال إن الدين يدور على

هذا الحديث فقط، وعلى كل حال هذا الحديث معظَّم عند أهل العلم وقد نظم أبو طاهر بن مفوِّز الأربعة التي أشار إليها أبو داود فقال:

عمـــدة الـــدين عنـــدنا كلمـــات أربــــع مــــن قــــول خيــــر البريــــة

عمـــدة الـــدين عنـــدنا كلمـــات أربــــع مــــن قــــول خيــــر البريــــة

اتـــــق الله وازهـــــد ودع مـــــا لـــــــيس يعنيـــــــك............

اتـــق الشـــبهات وازهـــد ودع مـــا لـــيس يعنيـــك واعملـــن بنيـــة

فهذا من الأحاديث الأربعة التي يدور عليها الدين عند أهل العلم، الحلال بين لا إشكال فيه ولا مراء وهذا كثير في النصوص يأتي منصوصًا عليه بنص صحيح صريح فهو بيّن لا يُختَلف فيه، وإذا اختُلف فيه ووجد فيه أكثر من دليل أمكن الترجيح فبان وجهه، وكذلك الحرام بيِّن جاءت فيه نصوص صحيحة صريحة هذه لا مجال للاجتهاد فيها لكن المشتبهات بين الحلال وبين الحرام وهي ما تتعارض فيه الأدلة وبعضهم يقول: هو نوع المكروه الذي هو متردد بين الحلال والحرام ليس بحلال يثاب فاعله بيّن واضح بل فيه نوع منع، لكن لا على سبيل الإلزام وليس بحرام بيِّن يأثم فاعله فهو في منزلة بين المنزلتين، الحلال البيّن والحرام البين فهو برزخ بينهما وهذا البرزخ هو الشبهات والمشتبهات والمتشابهات، أسباب الاشتباه إما تعارض الأدلة في نظر المجتهد فيوجد في المسألة نص يبيح وآخر يمنع، ثم بعد ذلك لا يستطيع أن يرجح بطرق الترجيح المعتبرة عند أهل العلم فيبقى مشتبها عليه وعلى من يقلده، أو يكون في منزلة بين المنزلتين فيكون من قبيل المتروك أو خلاف الأولى كما يقول بعض أهل العلم، طيب هذه المشتبهات التي لم تتضح فيها أدلة التحليل ولا أدلة التحريم أو كانت من نوع المكروه الذي هو في برزخ بين الحلال وبين الحرام «من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه» طيب عندك دليل يبيح ودليل يحرِّم من غير ترجيح إذا أقدمت فالاحتمال قائم أن هذا الفعل حرام لوجود دليل يدل على التحريم مع أن هناك احتمالا آخر وهو أنه حلال لوجود ما يدل على الحل فما دمت بين احتمالين فكيف تستبرئ لدينك وعرضك، فإن أقدمت عليه وقع في دينك وفي عرضك من يرى تحريمه، الذي يراه حرام وترجحت عنده المسألة بتحريمه بالأدلة هذا يقع في دينك وفي عرضك «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» كيف؟ أنت الآن فعلت فعلا عندك فيه دليل يدل على أنه حرام ودليل آخر يدل على أنه حلال فهو من المشتبهات، إذا فعلت هذا سهل عليك فيما بعد ارتكاب الحرام؛ لأنك قد تحتاج إلى مثل هذا الفعل المشتبه فلا تقدر عليه إلا بطريق حرام وقد عودت نفسك على ارتكابه فهو يجر إلى ما وراءه، وكذلك المكروه وقد أُثِر عن جمع من السلف أنهم يتركون تسعة أعشار الحلال خشية أن يقعوا في الحرام، أنت الآن عودت نفسك على أن كل حلال ترتكبه احتجت إلى هذا الفعل الذي هو في أصله حلال لكن لا

تستطيع أن تتوصل إليه إلا بطريق فيه نوع كراهة وقد عودت نفسك عليه لا تستطيع أن تفطم نفسك إذا عودتها على شيء فإنك سوف تتجاوز هذه المرحلة وتقول الحمد لله ليس بحرام إنما مكروه والمكروه لا عقاب عليه، طيب احتجت مرة ثانية وثالثة وعاشرة وسهل عليك الأمر وغرتك نفسك على ارتكابه فلم تستطع الوصول إليه إلا بطريق الحرام ماذا تصنع؟ كان التصوير الذي الآن يستعمل ونراه بكثرة في أقدس البقاع شأنه عظيم عند الناس ومعظَّم في النفوس لما ورد فيه من النصوص الشديدة، لكن لما تيسرت أسبابه وصارت بيد كل واحد من كبير وصغير متعلم وعامي رجال ونساء تيسرت الأسباب، أنت الآن تقول: أنا أستفيد من هذه الكاميرا في تصوير المناظر الجميلة وكذا يأتيك ظرف ما تملك نفسك وأنت ترى تحريم تصوير ذوات الأرواح دعنا من الذين يرون أن هذا ليس من التصوير هذا شيء آخر، لكن الذي يرى أنه تصوير حرام يصوِّر به المناظر، يصور الكعبة، يصور الأروقة، يصور الأشجار، يصور الأنهار هذا عند عامة أهل العلم لا إشكال لأنه ليس من ذوات الأرواح، وأشرنا سابقا إلى أن القرطبي ذكر أن جميع ما هو من مخلوقات الله لا يجوز تصويره لأن فيه مضاهاة لخلق الله حتى ما لا روح فيه، لكن مثل هذا القول لو يطرح هذه الأيام لا يمكن يُتصوَّر، أقول توجد هذه الآلة بيد شخص يرى أن هذا النوع من التصوير يرى ولده أو بنته تحبو لأول مرة وتنازعه نفسه أن يلتقط صورة لهذا المنظر الذي لا يتكرر وهو يرى أن التصوير حرام ماذا يقول لنفسه؟ هذا لعله من النوع الذي أفتى به جمع من أهل العلم ليس بحرام، ثم يعود إلى نفسه فيلومها أمس أنا أقول حرام واليوم حلال ما يصلح غدا خطا على قدميه خطوتين أو ثلاث، ترى كثير من الناس بهذه الطريقة تساهلوا في هذا الباب ناس نعرفهم من أهل التثبت لكن لما سهل عليهم الأمر وصار بأيديهم وإذا كثر الإمساس قل الإحساس، ثم بعد ذلك تذهب إلى البحث عن الأقوال الأخرى، أنت احتجت هذا المكروه تقول مكروه لا عقاب في فعله وترتكبه احتجت إليه لكن لا تصل إليه إلا بوسيلة فيها كراهة أشد، تقول مازلنا في دائرة الكراهة ثم احتجت إليه مرة ثالثة ورابعة وخامسة ضاقت بك السبل وقد عودت نفسك عليه فإنك لن تتردد في ارتكابه ولو بطريق تأثم فيه بعض الشيء، ثم بعد ذلك يسهل عليك، والسيئة كالحسنة تقول أختي أختي ولذلك نرى من ورع السلف وفقههم فيما قاله بعضهم إنهم يتركون تسعة أعشار الحلال خشية أن يقعوا في الحرام، ولا بد للمسلم أن يضع لنفسه سياجا يمنعه من الوقوف فيما منع منه شرعا، يعني لو أن شخصا قال أريد النوم في سطح ليس عليه سور، ما فيه سياج وينام على حافته ويقول أنا في مأمن، الآن أنا على سقف هل يمكن أن تطاوعه نفسه على هذا الفعل أو لا بد أن يضع سياجا لئلا يقع؟ لماذا لا نضع لديننا سياجا؟ «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» يعني لا محالة لأن هذه الشبهات تجره، كثرة الإيغال في الحلال يجره إلى الوصول إلى هذه الشبهات سواء كانت أدلتها متعارضة أو كانت من نوع المكروه، ومن وقع في الشبهات لا بد ولا محالة أن يقع في الحرام؛ ولذا قرر أهل العلم

قاعدة سد الذرائع جميع الذرائع الموصلة إلى المحرم محرمة، يعني هذا ما جاء من فراغ هذا جاء من استقراء تام لنصوص الشريعة وقواعدها العامة، والآن ينادى على ألسنة كثير ممن يكتب ويبرز للناس في وسائل الإعلام ينادى بفتح الذرائع وأننا ضيقنا على أنفسنا، هذا الكلام ليس بصحيح لأن سد الذرائع حينما تريد أن تنام في مكان أو تجلس في مكان فيه خطر على نفسك فلماذا لا تحتاط لدينك «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى» وانظروا إلى هذا التنظير المطابق «كالراعي يرعى حول الحمى» شخص معه غنيمات في حمى لملك من الملوك ولا يرضى أن يرعى فيه غير نعمه وماشيته، ثم بعد ذلك هل تستطيع أن تقترب من هذا الحمى لاسيما إذا عرفت أن هذا ظالم يزيد في العقوبة، هل تترك الغنم تدخل في هذا الحمى؟ لا، لأنك تخاف على نفسك إذًا لماذا لا تخاف على نفسك من النار «كالراعي يرعى حول الحمى» الآن الغنم صحيح أن لها قوى مدركة تعرف أن الطعام مطلوب، والذئب مهروب منه، وتخشى بعض الأمور بهذه القوة المدركة لكن ليس لها عقول، العقل ميَّز الله به بني آدم هذه إذا رأت وبينهما حد فاصل هذا القسم ما فيه كلأ والذي يليه مباشرة بجانبه فيه العشب والكلأ الكثير ألا تدخل وتأكل؟ تدخل وتأكل لكن ما مصيرك أنت من هذا الظالم الذي منع من الدخول في هذا الحمى فأنت تحتاط لنفسك ولا يكفيك البعد بكيلو واحد، ألف متر أو كيلوين أو خمسة أو عشرة خشية أن تدخل بهائمك لهذا الحمى من هذا الظالم فينالك بسببها الأذى لماذا لا تحتاط لدينك «كالراعي يرعى حول الحمى ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه» حمى الله محارمه «إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» ابتعدوا عنه ليس فيه ثنيا، اجتنبوا إن استطعتم «ألا وإن حمى الله محارمه» فليحذر الإنسان من غشيان هذه المحارم وارتكاب هذه المآثم وإن دعته نفسه وشهوته وشيطانه عليه المراقبة لله- جل وعلا- عليه أن يراقب الله- جل وعلا- في السر والعلن، «ألا وإن في الجسد مضغة» مضغة بقدر ما يمضغه من الطعام «ألا وهي القلب» القلب «إذا صلحت صلح الجسد كله» لأنه هو الملك وبقية الأعضاء بمثابة الشعب لهذا الملك يأمر فيأتمرون، وينهى فيكفون، "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله" لأن الجوارح التي يركَّب منها الجسد تأتمر بالأوامر بالنسبة لهذا القلب وتنتهي عند نواهيه وهذا القلب عليه مدار الأمر كله {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [سورة الشعراء:٨٨-٨٩] ما فيه غير هذا {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [سورة الشعراء:٨٨-٨٩] فليحرص الإنسان على صلاح قلبه، قد يقول قائل: إن هذا القلب المتفق على تسميته قلبا في الجزء الأيسر من القفص الصدري متفق على تسميته قلبا، والنصوص كلها تخاطب القلب لكن مناط التكليف العقل رفع القلم عن ثلاثة والمجنون حتى يفيق، حتى يوجد العقل عنده، حتى يوجد مناط التكليف الذي هو العقل، طيب العقل هل يوجد

ارتباط بينه وبين القلب؟ نصوص الشرع كلها تخاطب القلب، وجاء ما يدل على الارتباط الوثيق بينهما {لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [سورة الحج:٤٦] فهناك ارتباط وثيق بين العقل والقلب، والقلب محله معروف لأنه شيء محسوس، والعقل يقرر الأطباء أنه في الدماغ لأنه قد يتأثر القلب الحسي ولا يتأثر العقل، وقد يتأثر العقل ولا يتأثر القلب المحسوس، فعلى هذا عند الأطباء- أعني الأطباء الذين تجردت أقوالهم وصنيعهم وطرائقهم عن النصوص الشرعية- يقولون لا يوجد ارتباط بين القلب والعقل؛ ولذلك يمكن أن يُنقَل قلب إنسان إلى آخر وقد يكون الأول من أعقل الناس والثاني أقل بكثير أو العكس هذا شيء مدرك ولا يمكن إنكاره، لكن ماذا نفعل بالنصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة القطعية التي لا تحتمل تأويلا في توجيه الخطاب الشرعي إلى القلب، وتعليق الأوامر والنواهي والتكاليف بالعقل؟ لا بد أن يكون هناك بينهما ارتباط يوضحه قوله- جل وعلا- {لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [سورة الحج:٤٦] فيقرر أهل العلم أن العقل محله القلب ويطلقون هذا، ورواية عند الإمام أحمد أن محله القلب وله اتصال بالدماغ، فيكون العقل مرتبطا بأمرين مرتبط بشيئين، مثل ما يقولون عن الكهرباء أنه لا بد من اثنين سالب وموجب فلا يقوم بأحدهما، فمحله القلب كما يقرره أهل العلم وله اتصال بالدماغ يتأثر بتأثر الدماغ «إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» القلب له أمراض {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [سورة الأحزاب:٣٢] هل نقول أن هذا المرض المشار إليه في النفوس هو الذي يمكن أن تقام له عملية قسطرة وفتح وتوصيل شرايين لا، هو المرض المعنوي مرض الشهوة ومرض الشبهة، هذا المرض علاجه أغلى من علاج المرض الحسي العضوي؛ لأن به النجاة يوم القيامة، قد يترتب على المرض العضوي المرض الحسي ذهاب الدنيا والدنيا لا شيء بالنسبة للآخرة، الكلام في الهلاك الأخروي كيف نسعى للنجاة من هذا الهلاك {إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [سورة الشعراء:٨٩] يحرص المسلم على أن يعالج قلبه من جميع الأمراض المؤثرة فيه، التي تكون عائقا وحاجزا بينه وبين ربه، ولابن القيم كلام كثير في الأدوية والعلاجات الناجعة المفيدة النافعة للقلوب، وكذلك للحافظ ابن رجب- رحمه الله- في مواضع من كتبه وغيرهما، وللغزالي أيضا في الإحياء على ما فيه من مخالفات عقدية وفيه أحاديث ضعيفة بل موضوعة فيتقى من هذه الحيثية ويستفاد منه بقدر الحاجة، وإن اعتمد على مختصراته مثل موعظة المؤمنين لجمال الدين القاسمي وما في حكمها يكفي في هذا النوع، وعلى كل حال الحديث عظيم وفيه فوائد كثيرة ويحتاج إلى دروس ونكتفي بهذا القدر.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/٨/٥هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

ففي الحديث الصحيح من رواية أنس بن مالك خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنه -عليه الصلاة والسلام- قال «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان » كل واحد منا يحس أن هذه الحلاوة المشار إليها في الحديث والتي وجدت في قلوب الكثير من سلف هذه الأمة وفُقدت عند كثير من خلفها، والسبب أن الأسباب الجالبة لهذه الحلاوة ضعفت عند الناس بل فُقِدَت عند كثير من الناس- نسأل الله السلامة والعافية- هذا أمر محسوس؛ لأن الأسباب الثلاثة المذكورة في هذا الحديث ضعفت، فالحب والبغض المشار إليه قد يكون ليس لله- جل وعلا- وهذا أثره ظاهر في حياة المسلم «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » وعلامة ذلك ألا يقدِّم شيئا على مراد الله ومراد رسوله، فيقدم أوامر الله وأوامر رسوله على أمر كل أحد كائنا من كان، فإذا تعارض الأمر الإلهي أو الأمر النبوي مع أوامر أخرى ولو كان الوالد أو الوالدة أو الرئيس أو المرؤوس أو ما أشبه ذلك فلينظر هل يقدِّم أمر الله -جل وعلا- حضرت الصلاة فقال له أبوه اذهب أحضر كذا، الضابط واضح من قدم أمر الله على أمر كل أحد كان الله- جل وعلا- أحب إليه، وإذا قدم أمر الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- أحب إليه من كل أحد، وإذا حضرت الصلاة فقال له رئيسه في العمل حرِّر هذه المعاملة أو أتمم هذا العمل قبل الصلاة فقدَّم أمر الرئيس على أمر الله ورسوله ما حقق هذا الشرط، ما حقق هذا السبب الذي يجد به طعم الإيمان، نعم قد يكون وقت الصلاة موسَّعًا لكن إذا تعارض أمر الرسول -عليه الصلاة والسلام- بأداء الصلاة مع المسلمين جماعة في المسجد فإن قدَّم هذا الواجب على أمر كل من يعارض هذا الأمر ولو كان الوالد أو الوالدة أو الرئيس أو ما أشبه ذلك كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإذا قدَّم أمر المخلوق على أمر الخالق تخلَّف هذا السبب وحينئذ لا يجد طعم الإيمان، وإذا وَجد المسلم طعم الإيمان طابت له الحياة وأحياه الله حياة طيبة لأنه يتلذذ بإيمانه ويتلذذ بأعماله الصالحة، وفرق بين من يأتي العمل المقرِّب إلى الله- جل وعلا- ورسوله وهو راغب فيه مقبل عليه فرح به وبين من يأتي إليه وهو كاره، فرق بين من يقول أرحنا بالصلاة وبين من يقول أرحنا من الصلاة شتان، وقد يستجيب الشخص للأمر ويستجيب الآخر للأمر وبين استجابتيهما مثل ما بين السماء والأرض، وفرق بين من أمر بذبح ولده فتله للجبين، وبين أمة تؤمر بذبح بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون، فرق بين من يأتي إلى ما يرضي الله- جل وعلا- من العبادات ويمتثل الأوامر ويجتنب النواهي وهو يتلذذ بذلك ويجد لها طعما هذا من الأسباب بل هو أقوى الأسباب أن يكون الله ورسوله

أحب إليه مما سواهما، هناك محبة شرعية ومحبة جِبِلِّيَّة لا يستطيع الإنسان أن ينفك منها، هذه المحبة الجبلية لا شك أنها إذا لم ترجع إلى اختيار الشخص ولا يكون للشخص فيها اختيار فإنه معفوٌّ عنه، محبة الولد، محبة الوالد هذه جبلِّية، وقد تضطر الإنسان هذه المحبة الجبلية والشفقة على الولد أو الوالد إلى ملاحظتها وتأخير الأمر الإلهي لاسيما إذا كان وقته موسَّعًا ولا يرتكب بتأخيره محظورا، هذه المحبة الجبلية التي لا ينفك الإنسان منها أمرها مما لا يستطيع الإنسان أن ينفك منه، هذه المحبة معفو عنها مع أنه جاء في الحديث الصحيح «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» تظهر هذه المحبة فيما ذكرنا عند تعارض الأوامر، كثير من المسلمين لا يجد طعما ولا يجد أثرا لهذه المحبة لأنه يؤْثِر عليها الدنيا، يسمع النداء وبيده شيء يعينه على كسب الحطام فتجده لا يلتفت إلى ذلك، أين هذا من سلف هذه الأمة ممَّن جاء عن بعضهم: الذي لا يأتي إلى الصلاة حتى يُدعَى إليها هذا رجل سوء، يعني ما يذهب إلى المسجد حتى يسمع النداء فكيف بمن لا يأتي إلى الصلاة حتى يسمع الإقامة، فكيف بمن يتأخر عن الصلاة حتى يفوته بعضها أو كثير منها، فضلا عن أن تفوته كلها، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» لا يحبه لأمر آخر، لا يحبه لغرض من أغراض الدنيا «أن يحب المرء لا يحبه إلا لله» الواقع في حياة الناس أو في حياة كثير من الناس اليوم أن المحبة مصالح متبادَلة، منها مصالح دنيوية، ومنها مصالح معنوية، فلينظر الإنسان نفسه إذا قرر زيارة رجل صالح أو عالِم عامل يقرر هذه الزيارة في أول الأمر لله- جل وعلا- ثم انظر أثر هذه الزيارة إن تأثر بنوع الاستقبال لم تكن هذه الزيارة لله أعني الثانية، فإن استقبله استقبالا حسنا وأعاد الزيارة من أجل هذا الاستقبال خدش في كون المحبة لله، وكذلك إذا كان الاستقبال أقل مما توقعه فلينظر الإنسان إلى نيته وقصده، وبعض الناس يزور ثم إذا حصل في أثناء الزيارة يعني ما أنزله منزلته أو قصر في استقباله أنه لن يكرر الزيارة وهذا واقع في كثير من الناس هذا ما كانت زيارته خالصة لله جل وعلا «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»، «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» نعم المصالح مؤثرة لها أثر وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها والإحسان مطلوب والإساءة مرفوضة فهذا له أثر في القلوب، لكن يبقى أن يكون الأثر الأول والمقصد الأول أن يحَب هذا الشخص لأنه محبوب عند الله- جل وعلا- وقد أثَّرت أمور الدنيا على هذه المحبة حتى قال ابن عباس وهو في الصدر الأول: "ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا" وهذا في أواخر القرن الأول يعني بعد انقراض الجيل الأول من الصحابة وإتيان كثير من التابعين وبقية من الصحابة، يقول ابن عباس: "ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي عند الله شيئا" لا يغني {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [سورة البقرة:١٦٦] قال كل الأسباب التي تُبنَى على غير هذا الميزان لا تنفع وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله.

وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرا من كل غاوٍ وآثم

هذه أوثق عرى الإيمان، "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" الإنسان يحمد الله- جل وعلا- على هذه النعمة التي امتن الله بها عليه فهي أعظم نعم الله على المرء، أن يكون مسلما أنقذه الله- جل وعلا- من الكفر، وإلا ماذا يتصور عن حاله لو وجد بين أبوين كافرين في مجتمع كافر وما قدرت له السعادة باعتناق هذا الدين، ثم النتيجة والنهاية أن يكون خالدا مخلدا في النار- نسأل الله السلامة والعافية- فهي نعمة عظيمة فعلى الإنسان أن يلهج بشكر الله- جل وعلا- أن جعله مسلما، وأن يتصوَّر حال غير المسلمين في الدنيا والآخرة شقاء وتعاسة في الدنيا وعذاب أليم مقيم في الآخرة، فإذا تصوَّر هذا شكر الله- جل وعلا- على هذه النعمة وسعى وجهِد وتعب في تحصيل الأسباب المثبتة لهذه النعمة خشية أن تسلب منه؛ لأن الإنسان قد يكون مسلما ثم بعد ذلك يتساهل ولا ينظر إلى هذه النعمة العظيمة ويقدرها قدرها، ثم يعمل الأسباب التي تجعلها تضعف في قلبه ثم تضمحل وتتضاءل حتى يبيع دينه بعرض من الدنيا، كما جاء في حديث الفتن: "يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا" لأن المسألة تحتاج إلى معرفة قدر هذه النعمة، ثم تحصيل الأسباب المثبِّتة لهذه النعمة، تجد الإنسان وقد يكون من طلاب العلم يتساهل في أمور المعاصي أو يقصِّر في امتثال الأوامر، وقبل ذلك يتساهل في النوافل أو في ارتكاب المكروهات، ثم بعد ذلك يجره إلى أن يترك بعض الواجبات ويرتكب بعض المحرمات، ثم ينسلخ بالكلية؛ لأن أعظم وسائل التثبيت والثبات التقرب إلى الله- جل وعلا- بالنوافل «وما تقرب إليَّ عبدي بأحب مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه» لأن النوافل سياج تحفظ الواجبات من الضياع، والواجبات سياج يحفظ أصل الدين ولو تأملنا قوله- جل وعلا- {ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [سورة البقرة:٦١] هذه المعاصي صارت سببا للكفر الذي صار سببا لضرب الذلة والمسكنة عليهم، فهي أمور مرتَّب بعضها على بعض، فحذار حذار من أن يفرط المسلم بهذه النوافل التي تحفظ عليه الواجبات، والمحافظة على الواجبات يحفظ عليه أصل الدين والإسلام، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يعود أو كما يكره أن يلقى في النار، هل يوجد أحد يحب أن يلقى في النار؟! لا أحد يرضى أو يحب أن يلقى في النار ولو كان إلقاؤه في النار مرتَّبا على أمرٍ يقرِّبه إلى الله- جل وعلا- بمعنى أنه لا يتمنى ذلك، لا يحب ذلك بل يكره ذلك؛ ولذا جاء في الحديث الصحيح «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا» فلا يتمنى الإنسان أن يُلقَى في النار كما ألقي إبراهيم- عليه السلام- يسأل الله العافية؛ لأنه ما يدري ما نتيجة هذا الابتلاء، يمكن لا يطيق فيرتد- نسأل الله العافية- يسأل الله العافية، لكن إذا لقيتموه فاثبتوا، إذا كنت على الحق وأرادوك أن ترتد على هذا الحق وهددوك بالإلقاء في النار هذا إكراه لك مندوحة

في أن تجيب إلى كلمة الكفر شريطة أن يكون قلبك مطمئنا بالإيمان، وإذا ارتكبت العزيمة وثبَتّ على الحق وألقيت في النار لا شك أن هذا أكمل، لكن يبقى أن لك رخصة في أن تجيب إلى قول كلمة الكفر إلا من أكره {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [سورة النحل:١٠٦] والخشية أن يتمنى الإنسان بمثل هذا الابتلاء ثم لا يثبت ثم يستجيب وقلبه متردد غير مطمئن بالإيمان، فمثل هذا عرَّض نفسه لفتنة لا يطيقه «وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار» ومَن مِن العقلاء مَن يحب أن يلقى في النار؟! -نسأل الله العافية- على كل حال هذه أمور على المسلم أن يجعلها نصب عينيه؛ لأنه يجد بها حلاوة الإيمان، وإذا وجد المسلم حلاوة الإيمان فحدِّث ولا حرج من انفتاح أبواب التوفيق لهذا المسلم؛ لأنه إذا وجد الحلاوة أقبل على الأعمال الصالحة وهو يتلذذ بها، إذا لم يجد هذه الحلاوة تجد هذا المسلم قد لا يفرِّط بواجبات قد لا يرتكب محظورات لكن فيها مشقة عليه تستمر معه المجاهَدة، والسلف أثِر عن كثير منهم أنهم كابدوا وجاهدوا أنفسهم من أجل قيام الليل ثم تلذذوا به، فرق بين من يأتي إلى العبادة وهي شاقة عليه وبين من يأتيها وهو مرتاح إليها ومرتاح بها كما هو شأنه -عليه الصلاة والسلام- «أرحنا يا بلال بالصلاة» وواقع كثير من المسلمين الذين مازالوا في طَوْر المجاهَدة لسان حالهم يقول أرحنا من الصلاة، هؤلاء الذين يعلمون الناس الخير بينهم فروق كبيرة جدًّا، بعض الناس يعلِّم العلم عقودا تكون ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة وفي كل درس يحتاج إلى مجاهَدة، وبعض الناس وذلك بسبب صلاح القلب وخلوص النية تجده يجاهِد مدة ثم يتلذذ بقية عمره؛ ولذا يُعجَب من بعض الناس مثار عجب أن يكون ديدنه العلم والتعليم، تجده في كل الأوقات يعلِّم أو يؤلِّف وبعض الناس ينظر إليه على أنه مسكين، الناس في استراحاتهم وفي لهواتهم وفي رحلاتهم وهذا عاكف بالمكتبة يؤلف أو يعلم الناس جالس على كرسي، لا يدري أنه يتلذذ بها كما يتلذذ أنعم الناس في هذه الدنيا، شرف الدين الطيبي شارح المشكاة وشارح البخاري وغيرهما وله تفسير أيضًا يجلس من بعد صلاة الصبح إلى أذان الظهر جلسة واحدة يفسر القرآن، ومن بعد صلاة الظهر إلى أذان العصر لصحيح البخاري، ومن بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب لكتاب ثالث نسيته الآن، والمغرب كذلك، هل مثل هذا العمل يُطَاق في تصوُّرِنا الآن؟! ما الذي أعانه على هذا المكث في المسجد وكيف كانت نهايته؟ مات- رحمه الله- وهو ينتظر صلاة الظهر بعد فراغه من درس التفسير، شيوخ أدركناهم من لزم التعليم إلى أن عجز حتى صار التعليم في آخر أيامه كثير منه لا يفهم كلامه من شدة مرضه ويموت بعده ببضعة أيام، ما الذي يسَّر له هذا الأمر إلا أنه جاهد في البداية ثم كانت هذه هي النهاية، شباب يأتون إلى شيخ من مسافة ليقرؤوا عليه كتابا وقد حددوا الموعد معه في يوم من الأيام، صلوا معه الفجر وابتدأ بشرح الكتاب من صلاة الصبح وهم وضعوا جدولا لمجيئهم أو لزيارتهم لهذا البلد الذي فيه الشيخ، قالوا الساعة السادسة يعني بعد الصلاة بحدود ساعتين مقررين أن الكتاب ينتهي بعد ساعتين، الساعة

السادسة تواعدوا مع أحد زملائهم ليفطروا عنده، والساعة السابعة يمرون مكتبة من المكتبات ويصلون الظهر في بلدهم الذي يبعد عن الرياض ثلاثمائة كيلو هذا تخطيطهم، جلس لهم الشيخ بعد صلاة الفجر الساعة الرابعة وشرح قراءة وشرح جاءت الساعة السادسة يتناظرون، جاءت الساعة السابعة يتناظرون لا فائدة، لم يمسك، الساعة الثامنة ضاقت بهم الأرض، التاسعة، العاشرة، الحادية عشرة، الحادية عشرة ونصف قال: عن إذنكم أجدد الوضوء، إعانة إلهية لكن ما جاءت من فراغ بذل الأسباب، على المسلم أن يبذل السبب لينال مثل هذه الإعانات، يعني التلذذ مرحلة فوق المجاهدة، نعم الذي يجاهد نفسه ليرضي ربه يُكتَب له أجر العمل وأجر المجاهدة، لكن لا يعني أن هذا أفضل من الذي يتلذذ الذي وصل إلى مرحلة التلذذ كما عرف عنه -عليه الصلاة والسلام- وكون الأجر يضاعَف لبعض الناس لا يعني أنه أفضل من غيره، فالذي أعاد الصلاة بالتيمم له الأجر مرتين، والذي لم يعد أصاب السنة أيهم أفضل؟ الذي أصاب السنة قطعًا، على كل حال مثل هذا الحديث عظيم ينبغي لطالب العلم المسلم المؤمن أن يُعنى به، ويسعى جاهدًا لتحقق هذه الخصال الثلاث ليجد بهن حلاوة الإيمان.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/٨/١٢هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد روى الأئمة البخاري وغيره من أئمة الإسلام من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال «إن الله تعالى يقول: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب » في بعض الروايات «فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» هذا الحديث العظيم القدسي الذي يضيفه النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى الله– جل وعلا– ومثل هذا يقال له عند أهل العلم الحديث القدسي أو الحديث الإلهي، جاءت أحاديث جمعت عند أهل العلم في مصنفات سموها الأحاديث القدسية، أو الأحاديث الإلهية؛ لأنها مضافة إلى الله– جل وعلا– وتفترق هذه الأحاديث الإلهية المضافة إلى الله– جل وعلا– عن القرآن الكريم وعن الحديث النبوي، فالفرق بينها وبين ما يضاف إلى الله– جل وعلا– من القرآن الكريم أن القرآن مصون من الزيادة والنقصان، ولا تجوز روايته بالمعنى، ومحفوظ بين الدفتين، من أنكر منه حرفًا كفر– نسأل الله السلامة والعافية–؛ لأن الأمة أجمعت على ما بين الدفتين، أما الأحاديث الإلهية القدسية فحكمها من حيث الثبوت ومن حيث جواز الرواية بالمعنى حكمها حكم الحديث النبوي بدليل أن الحديث الواحد من هذه الأحاديث الإلهية المضافة إلى الله– جل وعلا– تروى بألفاظ مختلفة وفيها زيادات ونقصان في بعض الروايات دون بعض، فليس حكمها حكم القرآن من هذه الحيثية، وإضافتها إلى الله– جل وعلا– لا شك أن الله قال مثل هذا الكلام ولو لم يكن بحروفه لثبوته عنه من طريق جبريل عن النبي –عليه الصلاة والسلام– عن جبريل فما صح منها فيجب العمل به، وهي مشابهة مثل ما قلنا للحديث النبوي من حيث أنها تجوز روايتها بالمعنى، وليست محفوظة من زيادة ولا نقصان بدليل أن الحديث الواحد مثل الحديث الذي معنا لو نظرنا إلى الروايات بين رواة الصحيح في البخاري وجدنا هناك فروقًا وإن لم تكن هذه الفروق مؤثِّرة «من عادى لي وليًّا» المعاداة تشمل المعاداة القلبية بالبغض والكره ونصب العداء والأذى هذه كلها معاداة، وهذا خلاف ما وصف الله به خيار هذه الأمة ممن يأتي من بعد الصحابة إلى قيام الساعة {وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ} [سورة الحشر:١٠] هذا وصفهم أما من كان على خلاف هديهم وطريقتهم وسنتهم فهم الذين عادوا أولياء الله– جل وعلا– والولي هو المؤمن التقي {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [سورة يونس:٦٢-٦٣] هؤلاء هم

الأولياء، فليحذر المسلم أن يعادي أولياء الله المؤمنين المتقين لئلا يقع في هذه المحاربة التي لا يد له فيها ولا يستطيع المقاومة؛ لأنه في جميع تصرفاته وأنفاسه في أسْر الله -جل وعلا- فكيف يبارز ويحارب المأسور والله- جل وعلا- بيده أزمَّة الأمور كلها وله التصرف الكامل المطلق في خلقه، هذا وعيد شديد لمن يعادي هذه الفئة أو يبغض هذه الفئة من أولياء الله كما قال- جل وعلا- {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [سورة البقرة:٢٧٥] إلى أن قال فأذنوا بحرب من الله ورسوله} من يطيق حرب الله- جل وعلا-؟! فمن عادى أولياء الله فقد بارزه بالمحاربة، وأولياء كما قلنا من جاء تفسيرهم في القرآن {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [سورة يونس:٦٣] «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه» الفرائض التي يؤجر المسلم على فعلها ويأثم بتركها لا شك أنها أولى من الأعمال الصالحة التي لا يعاقَب على تركها، فالفرائض أفضل من النوافل «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه» فإذا تقرب الإنسان إلى ربه- جل وعلا- بما افترض عليه نجا، لكن يبقى من يضمن لهذا المسلم الذي تقرب إلى الله بما افترض عليه ألا يكون في فرائضه شيء من الخلل؟ وحينئذ يحتاج المسلم إلى قدر زائد على الفرائض، في حديث ضمام بن ثعلبة لما جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-يستثبت مما سمعه من أن أنه مرسَل من الله -جل وعلا- وأنه أُمر بالصلوات الخمس ثم قال هل عليَّ غيرها؟ قال «لا، إلا أن تطوَّع » ثم ذكر بقية الفرائض «لا، إلا أن تطوَّع» فليس مما يجب مما أوجبه الله على المسلم شيء غير ما ذكر من الفرائض، لكن القدر الزائد على الفرائض من النوافل كما جاء في الحديث الصحيح أنه حينما يحاسَب العبد ويرى الخلل في فرائضه يقال انظروا هل لعبدي من تطوع الإنسان، قد يقول أنا لا أعمل أكثر مما افترض الله عليه، نقول نعم إذا التزمت بذلك نجوت، لكن من يضمن لك عدم الخلل في هذه الفرائض «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه» وهنا مسألة عملية يزاولها الناس في أعمالهم يوميا، الموظف مثلا المتفق معه على ساعات من العمل، هذه الساعات فرائض يجب عليه أداؤها وعدم التفريط بشيء منها، بعض الناس يفرّط يأثَم بهذا التفريط ويقول ويدَّعي أن له أعمالا يخدم بها الناس ويخدم بها هدف العمل الذي من أجله تعاقَد عليه، لا شك أن هذا نفل لكن يجب عليه أن يسعى في براءة ذمته من الواجب ثم يسعى في النفل؛ لأن الناس يتفاوتون، بعض الموظفين يسعى لإبراء ذمته مما أوجب عليه في هذا العمل، ثم إن كان عنده مزيد وقت فإنه يصرفه في الأعمال الصالحة من نفع الناس مما يحقق هدف العمل، مثال ذلك معلِّم علم شرعي في كلية شرعية نصابه اثنتا عشرة ساعة في الأسبوع أو عشر ساعات تجد بعض الناس يحرص على هذا النصاب بدقة ومع ذلك لا يزيد عليه وليس عنده أعمال أخرى، لكن الثاني يفرِّط بشيء من هذه الساعات إما من بعض هذه الساعات من أوائلها أو من أواخرها أو من أثنائها أو في بعضها لا يحضر في الكلية، ثم تجده في كل باب من أبواب الخير له فيه

يد، تجد له دروسا في المساء أكثر من جدوله في الجامعة، هل هذا يعفيه ويبرئ ذمته من العمل الأصلي الذي وجب عليه بالعقد؟ لأن هذا موجود وهذا موجود، بعضهم يقول أنا أكمِّل هذا النصاب ولا أزيد عليه لأنه يقول: الله-جل وعلا- يقول: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، هذا مما افترضه الله علي خلاص، والثاني يقول: انظروا هل لبعدي من تطوع فإذا حصل خلل في الواجب كُمِّل من النوافل هذا له وجه وهذا له وجه، لكن على المسلم أن يسعى أولا في إبراء ذمته ثم يسعى للتكميل من النوافل، وهذا مثال تقريبي وهذا أمر واقع هذه مسألة واقعة، بعض الناس يقول: أنا ما دمت أحقق هدف الجامعة من نشر العلم الشرعي سواء كان في أروقة الجامعة أو في المسجد فيوجِد لنفسه الذريعة في التخفيف من العمل الرسمي نقول العمل الواجب هو الذي تعاقدت عليه وتأخذ عليه المقابِل من الراتب، والقدر الزائد في المساجد وفي غيرها هذا أجرك على الله- جل وعلا- ويكمَّل به ما يحصل من الخلل ويأتي ما في الجملة الثانية من الحديث مما ينفع في هذا المجال «ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه لايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» هذه مرتبة بعد أداء الفرائض لا يقال له يتقرب بالنوافل ويفرط بالفرائض، لا يقال إن مثل هذا يتقرب بالنوافل حتى يحبه وهو مفرط بالفرائض إنما هذا قدر زائد على الفرائض؛ لأن الفرائض لا مساومة عليها جاء في الحديث «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل» الوضوء فرض لصلاة الجمعة، والغسل سنة عند عامة أهل العلم، هل السنة أفضل من الفرض؟ لكن لما كانت هذه السنة مشتملة على الفرض وزيادة كان أفضل وإلاَّ ما يتصور أن شخصا يغتسل ويترك الوضوء ويقول إنه عمل الأفضل لا بد أن يتوضأ وضوءه للصلاة ثم بعد ذلك يغتسل الغسل الأفضل، وهنا نقول «ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه» هذا بعد أن يستكمل الفرائض وتبرأ ذمته من الواجبات، «ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل» نوافل العبادات من الصلاة والصيام والصدقة والحج والذكر والتلاوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك مما يشترك فيه الواجب مع المندوب، فإذا برئت عهدته من الواجب عليه أن يسعى في أن يضرب بسهم وافر في كل باب من أبواب المندوبات ليدخل في هذا الحديث ليُعصَم من الزلل والخطأ «ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» إذا أحبه الله- جل وعلا- فحدِّث ولا حرج مِن فتح أبواب التوفيق والبركة في العلم والعمل والعمر والولد والمال والأهل وغير ذلك «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به كنت سمعه الذي يسمع به» بمعنى أن الله -جل وعلا- يحفظ سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله -جل وعلا- فلا يسمع الحرام، فلا يسمع ما حرم الله عليه من غيبة وغناء ومزامير ونميمة وغير ذلك من أقوال الفحش والخنا والفجور، لا يسمع إلا الكلام الطيب «كنت بصره الذي يبصر به» فلا يرى في بصره بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليه إلا ما يرضي الله- جل وعلا- فيحفظ الله سمعه ويحفظ الله بصره وبهذا

تتحقق النعمة في هاتين الحاستين؛ لأن كثيرا من الناس يتمتع بالسمع يتمتع بالبصر وهي نعمة في الأصل، لكن إن استعملت فيما يرضي الله- جل وعلا- صارت نعمة، وإن استعملت فيما لا يرضيه صارت نقمة «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» فلا تجده يرسل بصره إلا فيما يرضي الله- جل وعلا- أو في مباح، لكن لا يرسل بصره فيما يحرم عليه من النظر إلى المحارم- محارم المسلمين- أو شيء منكر لا يستطيع إنكاره، أو يعرِّض بصره أو سمعه لفتنة لا يستطيع إنكارها، أو يسمع شبهات أو شهوات أو ينظر إلى مغريات، كل هذا يُحفَظ إذا تقرب إلى ربه بالنوافل، فالنوافل سياج منيع يحفظ الواجبات ويحفظ الجوارح من انتهاك المحرمات «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها» يزاول بها الأعمال تحفظ من أن تزاول عملا محرما، كثير من الناس يفعل الواجبات لكن يفعلها على وجه فيه شيء من النقص ولا يحتاط لهذه الواجبات في التقرب إلى الله بالنوافل، فتجده يسهل عليه استماع المحرم، تجده يسهل عليه النظر إلى المحرم، وكثير من المسلمين الآن في الظروف التي نعيشها قد فتحت أبواب الفتن على مصراعيها تجده يقع في دعوة أم جريج شعر أو لم يشعر، التي دعت فيها على ولدها فلذة كبدها المشغول بعبادة، دعت عليه ألا يموت حتى يريه الله وجوه المومسات، تجد كثيرا من الناس على هذه القنوات وفيها من فيها من هذا الصنف، يسمع ويرى ويبصر ويرسل بصره ويتلذذ بهذا النظر- نسأل الله العافية- ويشوش قلبه وفكره ثم بعد ذلك يدعو فلا يستجاب له؛ لأنه فتح المنافذ إلى هذا القلب وشوَّش عليه وكثرة عليه الخواطر والهواجس التي تصده عن الالتجاء إلى الله- جل وعلا- وصدق اللجأ إليه والإخلاص له، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فلا تجده يبطش ولا يزاول عملا بيده إلا ما هو مباح أو مطلوب، بمعنى أنه واجب أو مستحب ورجله التي يمشي بها فلا تجده يمشي ولا يسعى إلا إلى شيء مشروع، أما إذا لم يحتط لنفسه ولم يأخذ من النوافل بنصيب ولا يتقرب إلى الله بالنوافل فإنه عرضة لأن يصل إلى الفرائض ويصلي إليها الخلل والنقص؛ لأنه مثل ما قلنا النوافل سياج منيع يمنع الإنسان من انتهاك المحرمات والتفريط في الواجبات، كما أن هذه الواجبات سياج منيع لأصل الدين، بنو إسرائيل ضربت عليهم الذلة والمسكنة لماذا؟ لأنهم كانوا يكفرون والكفر لماذا؟ {ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون} ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ سبيل وطريق إلى الكفر، والكفر- نسأل الله العافية- سبيل إلى ما وراءه، المقصود أن التقرب بالنوافل يحفظ الفرائض والتقرب بالفرائض وعدم انتهاك المحرمات هذا يحفظ أصل الدين، فالذي يفرّط بالنوافل لا شك أنه في طريقه إلى التفريط ببعض الواجبات، والذي يترك الواجبات وينتهك المحرمات لا يؤمَن عليه أن يزيغ قلبه في يوم من الأيام، فعلى الإنسان أن يهتم لنفسه ويحتاط لنفسه، كم من واحد رأيناه من أهل الديانة والاستقامة ثم بعد ذلك فرَّط في النوافل، ثم بعد ذلك أقدم على شيء من المحرمات ثم سهل عليه الأمر إلى آخره كما هو مشاهَد في القديم والحديث «ورجله التي يمشي بها ولئن

سألني لأعطينه ولئن سألني لأعطينه» هذا الوعد بعد أن تقرَّب إلى الله بما افترض عليه ثم تقرب إليه بالنوافل حتى أحبه وحينئذ يكون قد تجاوز مرحلة الحرام وانتهاك المحرمات من باب أولى؛ لأن درءِ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح، والتخلية كما يقول أهل العلم قبل التحلية فيكون تركه للمحرمات مع إتيانه للواجبات ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية التي هي التقرب بالنوافل والإكثار منها حتى يصل إلى أن يكون وليًّا لله- جل وعلا- يحفظ سمعه، ويحفظ بصره، ويحفظ يده، ويحفظ رجله، ومع ذلك يحفظ قلبه الذي جميع خطابات الشرع تتوجه إليه والذي هو بمنزلة الملك بالنسبة للأعضاء، والذي هو إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، ولئن سألني لأعطينه، بذل الأسباب لإجابة الدعاء ومنع الموانع التي تمنع من إجابة الدعاء، ولئن استعاذني لأعيذنه، فهناك أسباب لإجابة الدعاء وهناك موانع من قبول الدعاء كما جاء في الحديث الإلهي الآخر، حديث أبي ذر: "ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذِي بالحرام فأنى يستجاب له"؟! أشعث أغبر يطيل السفر، المسافر له دعوة مستجابة فهذه من أسباب إجابة الدعاء، يمد يديه إلى السماء وهذه أيضًا من أسباب إجابة الدعاء؛ لأن الله- جل وعلا- حيي كريم يستحيي أن يمد إليه عبده يديه فيردهما صفرا، فرفع اليدين من أسباب إجابة الدعاء كالسفر، وهو أشعث أغبر منكسر القلب، والله- جل وعلا- مع المنكسرة قلوبهم كل هذه أسباب من أسباب إجابة الدعاء، يقول: يا رب يا رب والدعاء بهذا الاسم يا رب يقول أهل العلم أنه من أسباب الإجابة، ويقرر بعضهم أنه إذا قال يا ر ب يا رب خمس مرات أنه يجاب بدليل ما جاء في آخر سورة آل عمران ربنا ربنا ربنا ربنا خمس مرات ثم {**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم**} [٢/ ٦١] إلى آخره، فالدعاء بهذا الاسم وتخصيص هذا الاسم بالدعاء أيضًا مظنة للإجابة، فأسباب الإجابة متوافرة ما الذي يمنع؟ أنى يستجاب له يعني استبعاد أن يستجاب لمثل هذا لماذا؟ لوجود المانع، مطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له استبعاد لوجود المانع؛ ولذا على المسلم إذا أراد أن يكون مستجاب الدعوة كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لسعد بن أبي وقاص «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» أما أن يخلط الإنسان ويأكل ما هب ودب وما وقع في يده من حلال أو من حرام أو من شبهة أو ما أشبه ذلك ثم يطلب إجابة الدعاء أنى يستجاب له؟! مطعمه حرام، كل جسد بُني على سحت فالنار أولى به، كيف يستجاب لمثل هذا؟ مشربه حرام، لا يتحرى فيما يأكل وفيما يشرب، وغذي بالحرام قبل ذلك من مال والديه أنى يستجاب لمثل هذا؟! المقصود أنه على الإنسان إذا أراد أن يدخل في "وإذا سألني لأعطينه وإذا أعاذني لأعيذنه" أن يحقق المقدمات السابقة بفعل الواجبات والتقرب بالنوافل، ومع ذلك إذا أراد أن يكون مستجاب الدعوة فلينظر إلى ما جاء في النصوص الأخرى من آداب الدعاء وأسباب القبول والإجابة وانتفاء الموانع.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣٢/٧/٢٤هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله جل وعلا {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة يونس:٦٢-٦٤] {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ} [سورة يونس:٦٢] ألا حرف تنبيه، أولياء الله: جمع ولي، وولي الله وأولياء الله جاء تفسيرهم في نفس السياق {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [سورة يونس:٦٣] من هم أولياء الله؟ {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [سورة يونس:٦٣] من جمعوا بين الإيمان والتقوى، الذين جمعوا بين وصفي الإيمان، والإيمان عند أهل الحق من سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة: قول وعمل واعتقاد، قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وجاء تفسيره في حديث جبريل حينما سأل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الدِّين فقال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره» من حقق هذه الأركان الستة استكمل الإيمان على ما شُرِح في تعريفه من اعتقاد وقول وعمل، فالإيمان يُنظَر إليه مِن زوايا واعتبارات، فمن جهة يُنظَر إليه بالاعتراف والإذعان والتصديق بالأركان الستة التي أجاب بها النبي -عليه الصلاة والسلام- جبريل لما جاء يسأله عن الدِّين عن الإسلام والإيمان والإحسان، ويُنظَر إليه باعتبار متعلَّقه وهو القلب واللسان والجوارح، وينظر إليه باعتبار الأثر الناشئ عنه {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنفال:٢] خافت وكثير من المسلمين تمر عليهم آيات الله وآيات الذكر الحكيم ولا تحرك فيهم ساكنا {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} [سورة الأنفال:٢] قد يقرأ الإنسان القرآن من أوله وآخره، كثير من طلاب العلم وأهل العلم يختمون القرآن مرارا في الشهر والعام، والمسلمون يندر منهم من لا يقرأ القرآن في رمضان ومع ذلك لا تجد أثرًا لهذه القراءة وإلا فمثل الآية التي هي محل الدرس {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [سورة يونس:٦٢-٦٣] يعني يقرأ الإنسان القرآن وكأنه غير معني به، وكأنه غير مراد يقرأ قصص الأمم السابقة كأنها للتسلية، وكأنه يقرأ في كتاب تاريخ، والله- جل وعلا- يقول: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى} [سورة يوسف:١١١] فالقراءة التي لا تترتب عليها آثارها من الخوف والوَجَل من الله- جل وعلا- وزيادة الإيمان، هذه قراءة أثرها ضعيف وأجرها وإن كان أجر الحروف يثبت بمثل هذه القراءة في كل حرف عشر حسنات لكن يبقى أن الأثر الأعظم إنما يترتب على القراءة على الوجه المأمور به، الذي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- قراءة القرآن على الوجه المأمور به تزيد المؤمن يقينًا وطمأنينة لا يجدها

غيره، يعني ولو قرأ القرآن ممن لا يقرؤه على الوجه المأمور به، المقصود أن الإيمان إنما يُنظَر إليه باعتبارات حينما ينظر إلى أركانه الستة لا بد منها، من لم يؤمن بواحد منها ولو آمن بالخمسة هذا كافر- نسأل الله العافية بالإجماع- كافر أيضا من لم يحقق هذا الإيمان بحسب متعلّقاته من القلب واللسان والجوارح، يعني لو آمن بلسانه ما نفع، لو آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه الجمهور على أنه لا يدخل الإسلام حتى يقول لا إله إلا الله ينطق، «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» لا بد من النطق؛ ولذا يذكرون في كتب العقائد أن من وقر الإيمان في قلبه ولم ينطق به بلسانه فهو يعامَل في الدنيا معاملة الكفار، لكن في الآخرة هذا أمر بينه وبين ربه، الذي لا يعمل بالجوارح والعمل بالجوارح شرط في صحة الإيمان والمراد جنس العمل {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [سورة يونس:٦٣] التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية وذلك يكون بفعل المأمورات وترك المحظورات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [سورة التحريم:٦] لا بد أن تجعل هناك وقاية بينك وبين عذاب الله لتكون مؤمنًا تقيًّا، والتقوى هي وصيَّة الله للأولين والآخرين، وهي عبارة عن فعل المأمورات واجتناب المحظورات هذا خلاصة ما قاله أهل العلم فيها، فإذا امتثل المسلم المأمورات واجتنب المحظورات كان تقيًّا، وإذا ارتكب شيئًا من المحظورات أو أخل بفعل شيء من المأمورات أخلَّ بشيء من هذه التقوى على قدره وحسبه {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [سورة يونس:٦٣-٦٤] البشرى في الحياة الدنيا جاء في تفسيرها أنها الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو تُرى له، وجاء في الحديث الصحيح أنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوَّة، وجاء أيضًا تفسيرها بما جاء في قوله- جل وعلا- {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا} [سورة فصلت:٣٠] لا يخافون مما أمامهم من أهوال يوم القيامة، ولا يحزنون على ما خلفوه وما وراءهم من أهليهم وذويهم وما تركوه من متاع الدنيا، نعم كيف يحزن من بُشِّر تنزلت عليه الملائكة وبشرته وهو في الاحتضار والسياق بعدم الخوف مما أمامه فحينئذ لا يحزن، هو يبشر بالأمرين: بعدم الخوف مما أمامه من الأهوال ولا يحزن على ما خلَّفه من أمور الدنيا {أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [سورة فصلت:٣٠-٣١] هذا وعد من الله- جل وعلا- لأوليائه المتقين المؤمنين، قد يقول قائل ألا يكفي أحد الوصفين عن الآخر؟ الذين آمنوا وكانوا يتقون، الإيمان كمال وقد يكون المرء مسلمًا بالمعنى الأعم، وأما وصف الإيمان فلا يتحقق إلا لمن كَمُل فيه الوصف، ومن كَمُل فيه الوصف لا يتصور أنه غير تقي، والتقي الذي يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي لا يتصور فيه أن وصف الإيمان لم يتحقق فيه، لكن كثيرًا ما يُذكَر الوصف وإن أمكن الاستغناء عنه من باب الاهتمام به والعناية بشأنه {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [سورة آل عمران:١١٠] يعني

وصف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر زائد يتصف به بعض المسلمين، هو قدر زائد على القدر المشترك بين الناس كلهم الذي يتحقق به الوصف، ثم بعد ذلك يُنَص عليه للاهتمام به والعناية بشأنه لئلا ينسى، أهل العلم يشترطون في قَبول الأعمال الصالحة أن تكون خالصة لله- جل وعلا-، صوابًا على سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- يقول قائل: لماذا نذكر الشرط الأول: أن تكون خالصة يكفينا أن نقول صوابا على سنته وهديه -عليه الصلاة والسلام- لأنه إذا كان صوابا على سنته -عليه الصلاة والسلام- لا بد أن يكون خالصًا، أما إذا لم يكن خالصًا فإنه لن يكون صوابا بحال من الأحوال، نقول مثل هذا يُنَص عليه لئلا يعزب عن البال، يعني لو لم يذكره أهل العلم في كل مناسبة يمكن أن يطبق الإنسان ما جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- يصلي كما جاء «صلوا كما رأيتموني أصلي» ويطبق الصورة الظاهرة ويقول هذه على سنته -عليه الصلاة والسلام- ويغفل عن الشرط الأول وهو الأهم وهو الإخلاص لله- جل وعلا- {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى} [سورة يونس:٦٢-٦٤] جاء في تفسير أولياء الله عن ابن مسعود وابن عباس وجمع من الصحابة أنهم هم الذين إذا رؤوا ذُكِر الله، هؤلاء هم أولياء الله ومثل هذا الوصف لا يأتي من فراغ، يأتي من التزام وتمسك بالسنة ظاهرًا وباطنًا مع الصدق مع الله- جل وعلا- وإخلاص العبادة له، وإلا مهما كانت الصورة جميلة والباطن مخالِف هذا لا أثر له في الناس، وكذلك من كان له نوع عبادة وعمل لكن صورته الظاهرة مخالفة فإن مثل هذا لا أثر له في الناس، الذين إذا رؤوا ذكر الله، وجاء هذا التفسير مرفوعا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- لكنه لا يسلم من مقال {لَهُمُ الْبُشْرَى} [سورة يونس:٦٤] يبشَّرون بالمبشرات كالرؤيا الصالحة، ومثلها أيضًا ما جاء في أن المسلم يعمل العمل الصالح فيحمده الناس عليه وهذا في صحيح مسلم فقال -عليه الصلاة والسلام- «ذلك عاجل بشرى المؤمن » لكن هل للمؤمن أن يستشرف مثل هذه البشرى العاجلة ويتطلَّع إليها، يحب أن يُمدَح، يحب أن يُثنَى عليه بعمله الصالح ليكون من عاجل بشرى المؤمن؟ أو أنه لا يتطلع إلى مثل هذا؟ سلف هذه الأمة وأئمتها وجمهورهم يرون أن المسلم يترك هذا بينه وبين ربه وسواء عليه مُدِح أو ذُم لا يختلف الأمر عنده، ابن القيم -رحمه الله- يقول: إذا حدثتك نفسك بالإخلاص فاعمد إلى حب المدح والثناء فاذبحه بسكين علمك ويقينك أنه لا أحد ينفع مدحه ولا يضر ذمه إلا الله- جل وعلا- كما قال الأعرابي للنبي -عليه الصلاة والسلام- أعطني يا محمد فإن مدحي زين وذمي شين قال: «ذاك الله جل وعلا» وبعض أهل العلم يستنبط من آية آل عمران {يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ} [سورة آل عمران:١٨٨] هذا محل الذم أن يحب أن يحمد بما لم يفعل، ومفهوم الآية أنه إذا أحب أن يُمدَح ويُحمد بما فعل أنه لا يدخل في هذا الذم وهذا استنباط من الآية جيِّد، لكن ينبغي أن يكون قلب العبد معلَّقا بالله- جل وعلا- لا يلتفت إلى المخلوق، نعم إذا اتفقت كلمة الناس على المدح أو على الذم كان له

أثر في الحكم عند الله- جل وعلا- لأن الناس شهداء الله في أرضه، لما مُرَّ بجنازة عليه -عليه الصلاة والسلام- فأثنى الناس عليها خيرا قال -عليه الصلاة والسلام- «وجبت» ومُرَّ بأخرى فأثنى عليها الناس شرًّا فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- «وجبت» فقيل له ما وجبت؟ قال ذاك أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وذاك أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء الله في أرضه؛ ولذا من مذهب بعض السلف وإن كان قولا مرجوحا أن من اتفقت ألسنة الناس على مدحه من العلماء فإنه يُشهَد له بالجنة كأحمد والسفيانين وابن المبارك وابن المسيب، هؤلاء أئمة اتفق الناس على مدحهم يقول: مثل هؤلاء وجبت له الجنة ويشهد له بالجنة، والذي عليه أهل السنة والجماعة أنه لا يشهد لأحد بجنة أو نار إلا من شهد له النبي -عليه الصلاة والسلام- لكن هذه علامات وقرائن يُرجَى للمحسن الثواب ويخشى على المسيء العقاب، بعض الناس إذا قيل له أن المدير أثنى عليك فضلا عن الوزير أو الأمير، إذا قيل له والله البارحة ذكرت عنده فأثنى عليك خيرا طار فرحًا، يمكن يحاول النوم ولا ينام من الفرح ويغفل عن مثل قوله -عليه الصلاة والسلام- في الحديث القدسي «أنا مع عبدي إذا ذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» فعلى الإنسان أن يلزم الذكر ويكون قلبه معلَّقًا مرتبطًا بالله- جل وعلا- المقصود أن الإيمان ليس بدعوى كما قال الحسن ليس الإيمان بالتحيل ولا بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل **{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}** [سورة الأنفال:٢] هل قلوبنا تتحرك إذا ذكر الله- جل وعلا- **{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً}** [سورة الأنفال:٢] يعني من منا من يقرأ القرآن وكأنه هو المخاطَب به وحده ما عليه من غيره؟! تقرأ الآية تأمر تنهى تحذِّر ترغب ترهِّب أنت المخاطَب، لما ذكر الله- جل وعلا- قصص الأمم السابقة، وقال في آخر سورة يوسف ما سمعنا **{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى}** [سورة يوسف:١١١] ليست تسلية، قال عمر- رضي الله عنه- مضى القوم ولم يُرَد به سوانا، آيات تتحدث عن فرعون وكم من فرعون بالوصف ومع ذلك يمر بالآيات وكأنها لا تعنيه، تتحدث عن المنافقين وكم من منافق يقرأ القرآن وكأن الأمر لا يعنيه، فإذا استحضرنا هذا وقلنا إن الإنسان مخاطَب بكل حرف من القرآن وأَلزَم ما يكون على الإنسان نجاة نفسه أن يسعى في خلاص نفسه فيتدبر القرآن وينظر في القرآن في الأوامر في النواهي في القصص والمواعظ والعبر والنظر والتفكر في آيات الله، انظر كأنك أنت المخاطَب ولا تقول والله الأمر هذا نزل في فرعون، نزل في هامان، نزل في كذا، انظر إلى هذه الأوصاف التي اتصف بها هؤلاء الذين عوقبوا وعذبوا وتوعدوا بالعذاب الشديد يوم القيامة هل أنت متصف بشيء منها؟ لأن العبرة بالأوصاف لا بالأشخاص، إذا اتصفت بأوصاف المنافقين فلا تقل المنافقون في الدرك الأسفل من النار، عبد الله بن أُبَيّ وجماعته لا، أنت واحد منهم إذا اتصفت بأوصافهم في الدرك الأسفل من النار يعني تحت الكفار- نسأل الله العافية- ولو صليت مع

الناس ولو زعمت أنك مسلم وتظاهرت بذلك انظر إلى قلبك فتش قلبك {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ} [سورة يونس:٦٤] هذا وعد من الله- جل وعلا- والله -جل وعلا- لا يخلف الميعاد، ذلك ما ذُكر هو الفوز العظيم، الفوز النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، يأتي على ألسنة الناس وفي الصحف والجرائد وغيرها فلان فاز بسيارة، الفريق الفلاني فاز على الفريق الثاني، الفوز الحقيقي {مَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [سورة آل عمران:١٨٥] هذا الفوز، ليس والله فاز بسيارة، فاز بعمارة، فاز بكأس، فاز بكذا، كل هذا لا شيء، الفوز الحقيقي ما جاء في قوله- جل وعلا- {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [سورة آل عمران:١٨٥] هذا الفوز أما الفوز المؤقَّت تستمتع بهذه السيارة، تستمتع بهذه الدار أو بهذا المبلغ من المال، متع الحياة الدنيا التي لا تزن عند الله جناح بعوضة، الدنيا بحذافيرها بملياراتها بعماراتها كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، والإنسان إذا حصل على علاوة أو حصل على شيء أو حصل على مكافأة فرِح لا مانع أن يفرح لأن هذا يعينه على تحقيق الهدف الذي من أجله خُلِق وهو تحقيق العبودية لله -جل وعلا- ولذا قال {وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [سورة القصص:٧٧] المسلم المؤمن يحرص على تحقيق ما خلق من أجله وهو تحقيق العبودية لله- جل وعلا- والمتصوَّر فيه أنه يغفل عما عداه حتى يحتاج إلى التنبيه إلى ألا ينسى نصيبه من الدنيا، فهل واقع جماهير المسلمين يحكي هذا؟ أو العكس؟ كأنهم خلقوا للدنيا فيحتاجون إلى أن يقال لهم لا تنس نصيبك من الآخرة هذا واقع كثير من المسلمين، ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، ركعتان في دقيقتين لأن من صفة هاتين الركعتين الخِفَّة، ركعتان خفيفتان تقول عائشة لا أدري أقرأ بفاتحة الكتاب أم لا؟ أخف صلاة يمكن أن تصلى ركعتي الفجر في دقيقتين خير من الدنيا وما فيها الدنيا بما تحتويه وبما تشتمله، لكن هل وطَّنَّا أنفسنا على فهم مثل هذا الكلام وتطبيق هذا الكلام في حياتنا؟ مثل ما طبقه سعيد بن المسيب في قصة ابنته الفقيهة المشهورة قصة مشهورة معروفة عند أهل العلم، خطبها ابن الخليفة فجاء السفير فقال يا سعيد جاءتك الدنيا بحذافيرها ابن الخليفة يريد بنتك، فقال يا هذا إذا كانت الدنيا لا تساوي ولا تعدل عند الله جناح بعوضة فماذا ترى أن يقص لي من هذا الجناح؟ وزوجها طالبا من طلابه فقير لا يجد شيئا ألبتة، هؤلاء هم الذين يعرفون حقيقة الدنيا وقدر الدنيا، أما من يلهث وراء الدنيا ويُذَكَّر يحتاج إلى تذكير إلى الصلاة وكثير من الناس يؤذن المؤذن ويمكثون في محلاتهم ورجال الحسبة يمرون عليهم يذكرونهم الصلاة الصلاة ويستمرون في حوانيتهم إلى أن تقام الصلاة، وبعض الناس يجلس في بيته أو في مسجده حتى تقام الصلاة، ومع الأسف أن بعض الناس يجلس في المسجد حتى يركع الإمام يعني هذا متصوِّر الهدف الذي من أجله خُلِق؟!، رجل كهل جالس يصلى على الجنائز في كل جنازة قيراط والقيراط مثل جبل أحد من الحسنات، ويقال له يا أخي صل على الجنائز جمع ما يُدرى كم عددها يقول أنا مصلي أمس على واحد، هل هذا يسعى في خلاص نفسه؟! ما نقول يأثم، ليس

مرتكبا إثما لكن لا شك أن مثل هذا محروم، الناس يسارعون ويسابقون إلى جنة عرضها السموات والأرض والجنازة الواحدة الصلاة عليها بقيراط من الأجر وجاء تفسيره بأنه مثل الجبل الكبير، في بعض الروايات أنها مثل جبل أحد كم من الأجور وكم من الأشياء التي تفوت المسلم بسبب تفريطه وتكاسله، والسلف منهم من يقول الذي لا يأتي إلى الصلاة حتى يُدعى إليها هذا رجل سوء، ما يأتي إلاَّ بعد الأذان رجل سوء، والذي تفوته تكبيرة الإحرام منهم يعزى، والذي تفوته الصلاة جماعة يعاد، يعني يمرض فيعاد والله المستعان.

ونكتفي بهذا ولعلنا نستعرض الموجود من أسئلة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	**١٤٣٢/٨/١هـ**	**المكان:**	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله جل وعلا {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [سورة الشعراء:٢١٧-٢١٩] {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} [سورة الشعراء:٢١٧] توكل على الله لا تتوكل على غيره؛ لأن التوكل من العبادات المحضة التي لا تليق إلا بالله- جل وعلا- ومن توكل على غيره فقد أشرك، والتوكل غير التوكيل في أمور الدنيا، فكونك توكِّل شخصا يقضي لك بعض أعمالك الدنيوية مع أن قلبك معلَّق بالله- جل وعلا- هذا الذي وكَّلْتَه على قضاء أمرك ليس بيده من الأمر شيء، إلا أنه سبب ووسيلة وواسطة بينك وبين من وكَّلته ليقضي الحاجة عنده، والأمور كلها بيد الله- جل وعلا- فإن شاء نفعك بهذا السبب وإن شاء لم تنتفع به، وقد يكون هذا الذي وكلته نقصًا عليك، فلو توليت أمرك بنفسك لكان أنفع مما يدل على أن القلوب لا بد أن تُعَلَّق بالله- جل وعلا- لا تعلق بالأسباب، فالوكيل الذي توكله في شيء من أمورك لعدم تفرغك أو لعدم إحسانك لهذا هذا سبب، قد يترتب عليه أثر وقد لا يترتب عليه، والأمور كلها بيد الله- جل وعلا- وأما التوكل الذي هو عمل القلب المربوط بالله جل وعلا في جميع الأمور فإنه عبادة، لا يجوز أن تتوكل على أحد لكن لك أن توكِّل أحدا يقضي لك بعض أمورك مما تستطيعه ويغلب على ظنك أنه يحسنه وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} [سورة الشعراء:٢١٧-٢١٨] إلى صلاتك سواء كان ذلك في جوف الليل وفي ظلامه، وبانفراد وفي مكان بعيد عن أنظار الناس فهو يراك {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} [سورة الشعراء:٢١٨] يعني في صلاتك {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [سورة الشعراء:٢١٩] يعني يراك وأنت قائم في صلاتك وأنت ساجد، يراك حين قيامك وحدك أو مع غيرك {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [سورة الشعراء:٢١٩] يعني معهم، والاقتصار على القيام والسجود لأنهما أعظم أركان الصلاة، أعظم أركان الصلاة القيام والقنوت طول القيام فهو أعظم أركان الصلاة باعتبار ذكره، يعني الذكر الذي يقال فيه وهو القرآن، والقرآن كلام الله أفضل الكلام فالقيام أفضل من غيره من هذه الحيثية، والسجود أيضًا أفضل نظرا لهيئته وقد جاء فيه « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» القيام وطوله وقراءة كتاب الله فيه وما تيسر من ذلك على الوجه المأمور به لا شك أن له أثرًا لاسيما في جوف الليل.

وبالتـــدبر والترتيـــل فاتـــل كتـــاب   الله لاســـيما فـــي حنـــدس الظلـــم

له أثر على القلب، له أثر على السلوك، له أثر في زيادة الإيمان وطمأنينة القلب وزيادة اليقين والصدق مع الله- جل وعلا- «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم» «نعم العبد عبد الله لو كان يقوم من الليل» فكان عبد الله بعد هذا الكلام لا ينام من الليل إلا قليلا {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [سورة الشعراء:٢١٨-٢١٩] يعني مع الناس يراك يرى بدنك ويرى حركاتك ويرى سكناتك ويسمع قولك مهما خفي على غيره، ويرى ما يدور بقلبك من إخلاص أو رياء أو عجب أو ما أشبه ذلك كل ذلك يراه الله- جل وعلا- ويسمعه فلا تخفى عليه خافية، ومن هذا أخذ العلماء منزلة المراقبة، إذا كان يراك حين تقوم، ويراك وأنت ساجد، طيب ما الأثر المرتَّب على هذه الرؤية؟ يعني بإمكانك أن تتصنع أمام المسؤول وتحسن العمل وتتقنه ولا تتصرف تصرفا ينتقدك فيه لكن إذا غاب عنك وغبت عنه تصنع ما تشاء، لكن الله- جل وعلا- الذي لا تخفى عليه خافية يعلم السر وأخفى، يعني ما هو أخفى من السر يعلمه فكيف تختفي عنه لا يمكن، المراقبة عمل قلبي لو استحضرها الإنسان في جميع أفعاله وأقواله وخطراته وحركاته وسكناته ما احتجنا إلى أن يوظَّف علينا من يراقبنا في أمورنا وفي أعمالنا، هناك ديوان مراقبة، وهناك مراقبة وتحقيق، لو راقبنا الله جل وعلا واستحضرنا مثل هذه المنزلة ما احتجنا هذا كله، في حديث جبريل المخرج في الصحيح لما سأل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الدين «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» الدين المشتمل على الإسلام والإيمان والإحسان سأل النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- عن المنزلة الأولى وهي الإسلام فقال «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» هذا الإسلام أعمال ظاهرة فقال له صدقت، يقول الصحابة عجبنا له يسأله ويصدقه! كأن عنده علم بما يقول، إذا لم يكن عنده علم بما يقول كان تصديقه عبثا، لكن عجبنا له يسأله ويصدقه، ومثار العجب أنهم لم يعرفوه، ما عرفوا أنه جبريل، ثم سأله عن الإيمان فقال: له «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره» فأجابه بأعمال باطنة اعتقادات خفية لكن لها آثار تظهر على البدن، ثم بعد ذلك سأله عن المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي الإحسان فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه » ومقتضى ذلك أن تخل بعملك إذا كنت تعتقد أنك أو تتصور أنك ترى الله- جل وعلا- وأن تعمل؟ لله- جل وعلا- المثل الأعلى لو أن المسؤول يراك وأنت تعمل عنده في مكتبك أمامك تحسن العمل وتتقنه لكن لو كنت في مكتب آخر بعيد عنه لا يراك يحصل شيء من الخلل، فإذا تصورت أن الله- جل وعلا- يراك فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، الله- جل وعلا- يقول: عن أهل النار {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ} [سورة الأنعام:٢٨] وقع الرد ما وقع لكن لو ردوا الله يعلم جل وعلا ماذا سيكون بعد ردهم وهذا ما كان ولا يكون لكنه يعلم أنه يكون لو كان «أن تعبد الله جل وعلا كأنك تراه» وهذه منزلة عظيمة جدا هذا لا يستصحبها ولا تخطر ببال كثير من الناس؛ ولذلكم تجدون

الخلل في العبادات ممن يعلم الأحكام فضلا عمن يجهل، تجد الإنسان إذا وقف بين يدي ربه- جل وعلا- يتصرف تصرفات لو كان عند أوساط الناس ما فعلها فضلا عن أن يكون بين يدي علية القوم لماذا؟ لأنه لم يتمثَّل هذه المنزلة أن يعبد الله كأنه يراه، أقل الأحوال أنك إذا لم تصل إلى هذه المنزلة «إن لم تكن تراه فإنه يراك» يعني تصور أنه هو يراك وهذا لا يخفى على عوام المسلمين فضلا عن خواصهم، فإذا تصورنا هذه المنزلة وهي منزلة عظيمة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين وأطال ابن القيم- رحمه الله- في مدارج السالكين الكلام عليها وأتى بالعجائب والنفائس مما يحتاجه كل مسلم، لماذا يقع الخلل في صلاة الناس؟ لماذا يقع الخلل في صيام كثير من الناس؟ لماذا يقع الخلل في جميع أو في عبادات الناس؟ لأنهم ما تصوروا هذه المنزلة وعزبت عن أذهانهم، وإلا لا يوجد مسلم لا يعرف أن الله يراه أو أنه يخفى على الله فكيف يتصرف هذه التصرفات؟ تجد المسلم الموصوف بالعقل والحزم في أموره إذا وقف بين يدي الله- جل وعلا- انظر إلى اليدين أين تذهب وإلى أين تنتقل كل هذا سببه الغفلة عن منزلة المراقبة «إن لم تكن تراه فإنه يراك» هذا لا يختلف فيه أحد، فالأولى ترغيب والثانية ترهيب، على كل حال هذه المنزلة لو استحضرناها وطبقناها في جميع أفعالنا وأقوالنا وخطراتنا وما يدور في قلوبنا لارتحنا كثيرا وأرحنا غيرنا، لكن هل يتصور من جميع الأمة أن تكون على منزلة واحدة في هذا الباب؟ لا يمكن، الناس فيهم من يصل إلى هذه المراتب وهذه المنازل وليسوا بمعصومين، وفيهم من هو دون ذلك ، منهم محسن سابق بالخيرات، ومنهم مقتصد، ومنهم ظالم لنفسه، وكلهم مسلمون {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [سورة فاطر:٣٢] هؤلاء كلهم مصطفَوْن وكلهم مآلهم إلى الجنة حتى المسيء الذي يخلط العمل الصالح والآخر السيئ، فلا يتصور من الأمة أنها تكون على مستوى واحد لا، هي مستويات ثلاث: فمنهم المقرَّبون، ومنهم الأبرار، ومنهم المخلِّطون الذين يخلطون العمل الصالح بالسيئ، والأبرار منزلتهم رفيعة، ومن أراد أن يطَّلِع على الجدول الذي يسيرون عليه في نومهم واستيقاظهم في ليلهم ونهارهم فليقرأ ما كتبه الإمام ابن القيم- رحمه الله- في طريق الهجرتين يستفيد طالب العلم كثيرا من قراءة هذه الكتب، لكن مع الأسف أن كثيرا من طلاب العلم لأنها ليست على طريقهم في دراستهم النظامية ينجحون ويأخذون الشهادة العليا ولو لم يقرؤوها، كثير منهم لم يطلعوا على مثل هذا الكلام مع أنه من أنفع ما يُقرأ للقلوب بعد كلام الله وكلام نبيه -عليه الصلاة والسلام- ولا شك أن كلامه وكلام ابن رجب- رحمه الله- مبني على ما جاء في الوحيين من الكتاب والسنة مستنبط منهما، التنصيص على القيام والسجود- كما قال أهل العلم وأشرنا إليه سابقا- أن القيام أفضل من غيره بذكره الذي هو القرآن، والسجود أفضل بهيئته فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ ولذا يختلف أهل العلم في الأفضل منهما هل الأفضل طول القيام وكثرة المقروء من كلام الله- جل وعلا- مع قلة الركوع والسجود أو يكثر من الركوع والسجود ولو قلل من قراءة القرآن، وجاء في

الحديث الصحيح: "أعني على نفسك بكثرة السجود" وعلى كل حال التوازن مطلوب، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- ركوعه قريبا من قيامه، وسجوده قريبا من ركوعه إلى آخره، فالصلاة ينبغي أن تكون متوازنة فلا يقرأ جزء من القرآن وهو قائم ثم بعد ذلك ينقر الركوع والسجود، ولا يطيل الركوع والسجود ولا يأخذ نصيبه من كلام الله- جل وعلا- ينبغي أن تكون الصلاة متقاربة اقتداء به -عليه الصلاة والسلام- الله- جل وعلا- يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهذه الآية تساق في هذا الباب، قد يتظاهر بعض الناس أنه ينظر إلى الكعبة مثلا هذا فيما يبدو للناس، وجاء في الخبر- وإن كان فيه كلام لأهل العلم كلام قوي- أن النظر إليها عبادة فيمتثل هذا وينظر والله أعلم لِمَ ينظر، يمكن ينظر إلى النساء الغاديات والرائحات- الله -جل وعلا- لا يخفى عليه {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [سورة غافر:١٩] بعض الناس يبكي أمام الناس والله أعلم ما سبب هذا البكاء، الله- جل وعلا- لا تخفى عليه خافية، فالذي تخفيه الصدور وإن خفي على الناس فإنه لا يخفى على الله- جل وعلا- والله- جل وعلا- يقول: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [سورة الفجر:١٤] بعض الناس مثل ما ذكرنا يخفي أعماله ومعاصيه عن الناس ويستطيع ذلك لكنه لا بد أن تظهر هذه الخلائق على تصرفاته وإن خفي على بعض الناس ما يصنعه وما يخفيه من الذنوب والمعاصي، فإن الله- جل وعلا- له بالمرصاد في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فعلينا أن نراقب الله- جل وعلا- في جميع ما نأتي وما نذر، وأن نستحضر أن الله -جل وعلا- يرانا يرى مكاننا ويسمع كلامنا ويعلم ما يدور في قلوبنا وصدورنا، فإذا استحضرنا هذا صار تصرفنا على مراده- جل وعلا- لا يمكن أن تفعل مخالفة وأنت تتصوَّر أنك بين يدي الله- جل وعلا- وأنك كأنك تراه في المنزلة الأولى فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قد يقول قائل أنه جاء في الخبر «ليس الخبر كالعيان » أنتم تمثلون بأن الإنسان إذا صار بين يدي الأمير أو الوزير أو المدير بين يديه لا يتحرك ولا حركة كأنه ميّت بين يدي غاسل، وإذا صار بين يدي الله- جل وعلا- في صلاته أساء، هذا خبر وهذا عيان وليس الخبر كالعيان كما جاء في ذلك الخبر «ليس الخبر كالمعاينة» موسى عليه السلام لما أخبره الله- جل وعلا- أن قومه عبدوا العجل ماذا صنع؟ لكن لما رآهم ألقى الألواح لأن هذا عيان، وخبر الله- جل وعلا- بمنزلة العيان عند مَن بلغ من يقينه وطمأنينة قلبه بما جاء عن الله وعن رسوله منزلة كما هي منزلته -عليه الصلاة والسلام- أو من دونه من خيار الأمة، وقلنا في مناسبات أن الخبر الصحيح المقطوع به ينزَّل منزلة المرئي كأنه عيان، فالله- جل وعلا- يخاطِب نبيه -عليه الصلاة والسلام- بقوله {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} [سورة الفجر:٦] هو ما رأى الرسول -عليه الصلاة والسلام- لكنه بلغه بالخبر اليقيني {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [سورة الفيل:١] وهكذا ينبغي أن ننزل الأخبار الثابتة عن الله وعن نبيه -عليه الصلاة والسلام- منزلة المرئي في القطعية، المسيء في صلاته الذي صلى والنبي -عليه الصلاة والسلام- يشاهِد فلما فرغ قال له

النبي -عليه الصلاة والسلام- «صلِّ فإنك لم تصل » قد يقول قائل إنه صلى وقف وقرأ وركع وسجد فيكون صلى، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول لم تصلِّ! الرسول -عليه الصلاة والسلام- حينما نفى الصلاة المراد بها الصلاة الشرعية المجزئة المسقطة للطلب، وأما الصلاة التي هي صورة صلاة وهي في الحقيقة ليست صلاة مجزئة وجودها مثل عدمها فنفيها حقيقة، هذا المسيء في صلاته أُمر بالإعادة إلى أن قال والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمه النبي -عليه الصلاة والسلام- الصلاة الصحيحة لكنه لجهله عُذِر فيما مضى وقال له اقض الصلوات التي صليتها على هذه الكيفية، فالجاهل معذور لكن الإشكال أن يوجد بعض التصرفات المخلة للصلاة من الحركات الكثيرة من بعض من ينتسب إلى العلم، أحيانا يدخل إلى المسجد وتقام الصلاة فيدخل وجميع أعماله في دنياه معه في قلبه، فتجده يتصرف تصرفات ويدير أمواله وهو في الصلاة حتى أن بعضهم انتقد الإمام لما سلم من ثلاث في صلاة رباعية هل هو متابع للإمام؟ لا، يقول في العادة أنني إذا كبرت مع الإمام أخرج من بلد كذا وأمر بكذا وكذا وكذا مراحل البلدان وإذا وصل إلى بلده يكون الإمام سلم إلى الرباعية، والآن سلم الإمام قبل أن يصل إلى بلده ظاهر الانتقاد والتسبيح بالإمام عند عموم المصلين يقولون ما شاء الله هذا الرجل متابِع للصلاة وقلبه حاضر ولا يدري أنه أبعد الناس من حضور القلب في الصلاة، يقول الآن باقي علينا ربع المسافة إلى البلد إذًا الركعة الرابعة ما جاءت، مثل هذا قد يمشي على الناس ويُمدَح بهذا أنه مستحضر لصلاته؛ ولذلك عرف أن الإمام نقص من الصلاة ركعة لكن هذا أبعد الناس أو أبعد الحضور عن استحضار ما هو بصدده من أعظم العبادات والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين والله المستعان.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣٢/٨/٨هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله–جل وعلا–في محكم كتابه: وقبل ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العصر:١-٣] هذه السورة العظيمة إذا تأملها المسلم وقرأها بعناية وتدبر عرف عظمها حتى قال الإمام الشافعي "لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" لماذا؟ لأن فيها الدلالة على المسائل الأربع التي معرفتها من أهم المهمات لكل مسلم ولكل عالم ولكل طالب علم ترسم له المنهج، أولى هذه المسائل العلم، ثم العمل، ثم الدعوة إلى ما عَلِم، ثم الصبر والتحمل على الأذى الذي يناله بسبب بث العلم ونشره ودعوة الناس إليه، يقول الله– جل وعلا– {وَالْعَصْرِ} [سورة العصر:١] الواو واو القسم، والعصر مقسَم به، والله– جل وعلا– له أن يقسم بما شاء، لا يُسأل عما يفعل، وأما غيره فليس له أن يقسم إلا بالله– جل وعلا– فالقسم بغيره شرك «من حلف بغير الله فقد أشرك» {وَالْعَصْرِ} [سورة العصر:١] الواو هذه واو القسم، والعصر مقسَم به، ويراد به الزمان الذي يعيشه الإنسان أو تعيشه الأمة أو تعيشه جميع الأمم من أوله إلى آخره، المقصود أن المراد به الظرف الذي يقع به ما كتبه الله– جل وعلا– على عباده، منهم من يقول إن المراد بالعصر العصر من اليوم الذي يلي الظهر ويسبق المغرب، هذا الوقت الذي يبدأ من مصير ظل كل شيء مثله إلى غروب الشمس، هذا الوقت وقت معظَّم شرعًا، فصلاة العصر هي الصلاة الوسطى اليمين إذا أريد تغليظها طلبت في هذا الوقت في العصر، فهو وقت معظَّم شرعًا وله شأنه؛ ولذا أقسم الله به على هذا القول، القول الأول أن العصر أشمل وأعم من ذلك وهو الدهر مما يبين أهمية الوقت، فالوقت هو حياة الإنسان، حياة المكلَّف الذي يجب عليه أن يستغله فلا يضيع منه شيئا «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» الفراغ الوقت الذي يفرغ فيه الإنسان من عمل ما وجب عليه، سواء كان من وظائف الدين أو من وظائف الدنيا، فإذا تيسَّر له فراغ فضيعه بما لا ينفعه في دينه أو في دنياه هذا مغبون، هذا الوقت هو عمر الإنسان وهو حقيقة الإنسان، يعني إذا أضاع الإنسان وقته من غير فائدة فوجوده في هذه الحياة عدم، فالحياة مزرعة أرأيت لو إنسانا اكترى أرضًا استأجر أرضًا ليزرعها ثم تركها هل يستفيد شيئا؟ لا يستفيد شيئا، لكن لو بادر من أول يوم بدأ بالزراعة استفاد منها واستغلها وآتت ثمارها، لكن لو استأجرها وتركها ما استفاد شيئا إنما عليه غرمها وليس له شيء من غُنْمها، وهكذا ينبغي أن يستغل المسلم هذا الوقت الذي هو مزرعة الآخرة {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [سورة العصر:١-٢] روى الطبراني عن بعض التابعين أنه إذا اجتمع

الصحابيان ما افترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، كانوا إذا اجتمعوا أو اجتمع الاثنان لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، وهكذا يحكيه التابعي عن الصحابة والخبر مصحَّح عند أهل العلم، وهذه سنة مماتة مندثرة وعلى طالب العلم وعلى المسلم عموما أن يحييها، وسورة العصر ما تكلف شيئا، ما يقال اقرأ سورة البقرة قبل أن تتفرق، سورة العصر تقرأ في ثواني وذلكم لِعِظَمِها، وروى الخرائطي في مساوئ الأخلاق لأن له كتابين أحدهما في مكارم الأخلاق والثاني في مساوئ الأخلاق عن عمرو بن العاص معلوم أن ما يتفرد به الخرائطي مظنة الضعف عند أهل العلم إنما يذكر هذا من باب العلم به لا على الاعتماد عليه، عن عمرو بن العاص أنه ذهب إلى مسيلمة الكذاب المدعي للنبوة فقال له مسيلمة ماذا أُنزل على صاحبكم وهذا قبل أن يسلم عمرو بن العاص، قال له: ماذا أنزل على صاحبكم؟ قال: أنزل عليه سورة فقرأ سورة العصر، فسكت مسيلمة قليلا ثم قال: وأنا أُنزِل عليَّ مثلها، إلى أن قال الهذيان المعروف: يا وبر يا وبر بلا أذنان وصدر إلى آخر فقال له ماذا تقول في قرآني؟ قال والله إنك تعلم أني أعلم أنك كاذب وهذا الخبر معروف أنه مادام في مساوئ الأخلاق فالأصل فيه الضعف، وعلى كل حال سواء ثبت أو لم يثبت لا يترتب عليه شيء، لكن له نظائر من هذيان مسيلمة الكذاب ومواقف لبعضهم معه في هذا الشأن يريد أن يعارِض القرآن ولو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لن يستطيعوا ولو كان بعضهم معينا لبعض، الله- جل وعلا- تحدى العرب أن يأتوا بمثله، وأن يأتوا بعشر سور من مثله، أن يأتوا بسورة من مثله، لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولن يستطيع أحد، ويُذكر عن المعري أنه حاول معارضة القرآن وهو مرمي بالإلحاد والزندقة، أبو العلاء المعري الشاعر المشهور مرمي بذلك والله أعلم لأنهم قالوا أن الكتاب الذي عارض به القرآن هو الكتاب الذي طُبِع باسم قالوا في مواعظ البريات، والآيات في مواعظ البريات، قالوا لأنه كان اسمه في معارضة الآيات والله أعلم بصحة ذلك، المقصود أنه لا يستطيع أحد أن يعارِض القرآن لما أراد مسيلمة معارضة القرآن أتى بمثل هذا الهذيان الذي يضحك الصبيان {وَالْعَصْرِ} [سورة العصر:١] هذا القسم {إِنَّ الإِنسَانَ} [سورة إبراهيم:٣٤] و(ال) هذه للجنس تعم جميع الناس {إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [سورة العصر:٢] يعني في خسارة، كلهم في خسر يعني في خسارة إلا من استثني و(ال) هذه الجنسية من صيغ العموم بدليل الاستثناء بعدها، إن الإنسان في خسارة إلا من استثني ولا شك أن أكثر الناس في ضلال {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} [سورة الأنعام:١١٦] وأهل الجنة واحد من ألف، فأكثر الناس بنسبة تسعمائة وتسعة وتسعين في النار، هؤلاء كلهم في خسر إلا هذا المستثنى الذي هو واحد من ألف {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة الشعراء:٢٢٧] وصدقوا وأيقنوا وأذعنوا وخضعوا لله- جل وعلا- واعترفوا به وبما جاء عنه من الغيبيات، آمنوا بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وحققوا أركان الإيمان الستة {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة الشعراء:٢٢٧] فقط يكفي أن

تؤمن وتصدق وتعترف بهذه الأركان الستة {وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} [سورة البقرة:٢٥] لا يكفي بل لا بد من العمل، فلا يتم دخولك في هذا الاستثناء حتى تؤمن وتعمل؛ ولذا أهل التحقيق على أن جنس العمل شرط في الصحة الإيمان؛ لأن الإيمان مركب من قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان على خلاف بينهم في كون الثلاثة شروط أو أركان، والفرق بين الشروط والأركان أن الشروط تكون خارج الماهية، وأن الأركان داخلة فيها، مثل ما قالوا في تكبيرة الإحرام هل هي شرط في صحة الصلاة أو ركن فيها؟ الجمهور على أنها ركن والحنفية على أنها شرط إلى غير ذلك من النظائر المعروفة {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} [سورة العصر:٣] عرفوا الله -جل وعلا- وعرفوا ما جاء عن الله- جل وعلا- وهذا دليل للمسألة الأولى من المسائل الأربعة العلم والمراد بالعلم المستنبط من الوحيين من الكتاب والسنة، وعملوا الصالحات هذه هي المسألة الثانية التي هي العمل بما علم، والعمل هو الثمرة، والعلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر، وعملوا الصالحات يكفي أن تعلم وتعمل فقط؟ لا، لا يكفي، وتواصوا بالحق أن تدعوا الناس إلى ما علمت وما عملت به الدعوة إلى ما عرفت ثم بعد ذلك هل تتوقع أنك إذا تعلمت وعلمت وعملت وعلَّمت ودعوت أنك لا تتعرض لما تعرض له سلفك من العلماء الربانيين من الأذى؟! لا بد من الصبر والتحمل على الأذى الذي ينالك بسبب دعوتك للناس، وأول من تحمل هذا الأنبياء عليهم السلام لما دعوا الناس تعرضوا لصنوف الأذى والتشديد والتضييق من أقوامهم ورسولنا -عليه الصلاة والسلام- القدوة والأسوة في هذا ناله من الأذى بسبب دعوته ما ناله، وهو ما دعاهم إلى أمر يشق عليهم إنما دعاهم إلى مخالفة المألوف من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده فآذوه بسبب ذلك {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العصر:٣] لا بد من العلم والعمل والتعليم والدعوة وبهذا يكون العالِم ربَّانيًّا، الرباني من تعلَّم وعمل ودعا وعلَّم، وفي البخاري عن ابن عباس أن الرباني من بدأ بتعليم صغار العلم قبل كباره، يعني ما يحسن أن يفتح العالم درسًا ويبدأ فيه بالمطوَّلات وفيمن يحضر صغار الطلاب، يبدأ بتعليم هؤلاء الصغار متون العلم وصغار المسائل ويتدرج بهم إلى أن يصلوا إلى المستوى الذي يحسن أن يعلم فيه الكبار، كبار العلم كبار المسائل وعضل المسائل هذا رباني، فالسورة إذا تأملها المسلم وقرأها على أنه هو المخاطَب بها وتدبرها وجد ما ذكره أهل العلم في فضلها وعظمتها والعناية بها، ذكر الرازي في تفسيره أن امرأة جاءت إلى المدينة وصارت تنادي في أسواقها- في أسواق المدينة- أين محمد أين محمد؟ فدُلَّت عليه فأخبرته أنها شربت الخمر وزنت وحملت وولدت ثم قتلت الولد، قال لها النبي -عليه الصلاة والسلام- «لعلكِ ما صليت العصر» ويقصد بذلك إلى أن المراد بالعصر صلاة العصر، والخبر باطل لا أصل له ولا يوجد في دواوين الإسلام إلا عند الرازي في تفسيره؛ ولذا لما أورده الألوسي في تفسيره قال تفرَّد بذكره الإمام، الرازي يطلق عليه الإمام، إذا أطلق الإمام في كتب الأصول أو كتب الشافعية المراد به الرازي صاحب التفسير والمحصول

وغيرهما من المؤلفات، تفرَّد بذكره الإمام ولعمري أنه إمام في معرفة ما لا يعرفه أهل الحديث هذا مدح أوقدح؟ قدح بلا شك، الذي لا يعرفه أهل الحديث هذا ليس بحديث، فهو يعرف ما ليس بحديث وهذا هو الغالب في حال المتكلِّمين اهتمامهم بالكلام وما يتفرَّع عنه والقيل والقال وانصرافهم عن الوحيين من نصوص الكتاب والسنة، فأعمارهم تنقضي وإن قالوا قلنا، وندم كثير منهم عند مماته وتمنى أن لو مات على عقيدة عجائز نيسابور، كتب مطوَّلة كلها من هذا النوع تفريعات وتشقيقات وإلزامات في أمور مبناها على العقل المجرَّد، العقل المعتمِد على الوحيين مطلوب وممدوح شرعًا، والعقل الصريح لا يمكن أن ينافي ويتناقض مع النص الصحيح، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب من أعظم الكتب أسماه كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ويوجد له اسم آخر وهو درء تعارض العقل والنقل، والدفع لأنه قد يوجد من النصوص ما يشكل على أنصاف المتعلمين أنه فيه معارضة للعقل لكن الراسخ في العلم لا بد أن يجد مخرجا صحيحا تأليفا بين هذا العقل الصريح مع النقل الصحيح، والمراد بالعقل الصحيح الباقي على فطرته لا العقل الذي انحرف واجتالته الشياطين عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

واقــرأ كتــاب العقــل والنقــل الــذي ... مــا فــي الوجــود لــه نظيــر ثــاني
وكــذلك التأســيس أصــبح نقضــه ... أعجوبــة للعــالِم الربــاني
ومــن العجيــب أنــه بســلاحهم ... .

بعلومهم الكلامية.

ومــن العجيــب أنــه بســلاحهم ... أرداهــم نحــو الحضــيض الــداني

يعني الذي يقرأ كتاب العقل والنقل ينبهر كيف فتح الله على هذا العالِم، وما العمر الذي أمضاه في طلب العلم حتى يصل إلى هذه المرحلة إنما هو توفيق الله وإلهامه، وعلى كل حال علينا أن يكون معوَّلنا أولا وآخرا على الكتاب والسنة، ودرس ما يعين على فهم الكتاب والسنة لا يعني أن الإنسان يقتصر على النصوص ويترك ما يعين على فهم النصوص؛ لأن النصوص تحتاج إلى فهم مؤطَّر مقيَّد مقنَّن في فهم السلف وعلى جادة علماء هذه الأمة وأئمتها، الإمام الشافعي- رحمه الله- يقول: "لو ما أنزل الله على خلْقه إلا هذه السورة لكفتهم" ما معنى هذا الكلام؟ هل معنى هذا أن الإنسان يقتصر على هذه السورة ويترك ما عداها؟ أو أنه من باب الإغراء بهذه السورة وفهم هذه السورة والعمل بما تقتضيه؟ هذه السورة من العلم، على الإنسان أن يعلم وإذا أراد أن يعلَم ويتعلَّم ويكون عالما فإنه لا بد له ألا يقتصر على هذه السورة، بل يأخذ من علوم الكتاب والسنة ما يحتاج إليه ويتدرج في ذلك إلى أن يصل إلى حد المجتهد، ويعمل مثل ما قلنا سابقا العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر، فإنما هو حجة ووبال على صاحبه، والعلم يهتف بالعمل فإن

أجابه وإلا رحل، والعلماء يقولون: إذا أردت أن تتعلم ويرسخ العلم في قلبك اعمل به لأن العلم النظري المجرَّد عن العمل لا يثبت في الذهن، وإنما الذي يثبت العمل به فالعلم أولا ثم العمل بهذا العلم ثم تعليمه والدعوة إليه ثم الصبر على ما ينال الإنسان من أذى فيه اقتداء بالنبي -عليه الصلاة والسلام-.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٥/٨/١٤٣٢هـ	المكان:	

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله- جل وعلا- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [سورة التكاثر:١-٢] ألهاكم: يعني شغلكم {التكاثر} فيما لا ينفع، فيما يلهي ويشغل عما ينفع مما خُلِق المكلَّف من أجله وهو تحقيق العبودية لله- جل وعلا- فكل ما يشغل عن تحقيق هذا الهدف داخل في هذا الذنب؛ بدليل حذف الملهي والمشغل، ولو كان المراد شيئا معيَّنًا مما يلهي ويشغل لذُكر، لكن لما حُذِف دل على أن كل ما يلهي ويشغل عن تحقيق عبودية الله- جل وعلا- التي من أجلها خلق الجن والإنس {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات:٥٦] كل ما يلهي وكل ما يشغل عن تحقيق هذا الهدف داخل في هذا الذنب- يعني من أمور الدنيا وحطامها- من حب للمال، والشرف، والجاه، ومما يؤكَل ويُشرَب ويُلبَس ويسكن، كل ما شغل عن تحقيق الهدف فهو مذموم؛ بدليل الوعيد والتهديد الذي تعقَّب هذا الخبر الذي مفاده الذم {كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [سورة التكاثر:٣] {أَلْهَاكُمُ} يعني شغلكم {التكاثر} سواء كان بالأموال، بالأولاد، بالجاه، بالأنساب، وغير ذلك مما يُتَصَوَّر دخوله في هذا المُلهي الذي حُذِف لتعميمه، ذكر المفسرون أشياء منها ما ذكر في أسباب النزول أن قومًا من الأنصار افتخر بعضهم على بعض وتكاثروا في أحساب أقوامهم وأنسابهم وأشراف قومهم، فقيل هل فيكم مثل فلان وفلان وفلان وفلان، فقال الآخرون مثل ذلك، فلما انقضى من يُفتخَر به من الأحياء ذهبوا إلى المقابِر، وقالوا: هل فيكم مثل فلان هذا وهذا وهذا، يعني ألهاكم التكاثر بالأحياء حتى وصل الأمر إلى الأموات في المقابر، وعلى كل حال كونه يذكر في أسباب النزول بعض الأمثلة لا يعني الحصر، وكونه يذكر أكثر من مثال لا يعني أن هذا من باب الاختلاف إنما هو مجرد أمثلة تدخل في العموم كما يدخل غيرها، {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [سورة التكاثر:١] حتى أن الحافظ الخطيب البغدادي ذكر في كتابه اقتضاء العلم العمل ما تلبس به بعض طلاب العلم من جمع للكتب فيما يزيد على قدر الحاجة مما يتشاغل به ويلهي عما هو أهم مما خلق الإنسان من أجله، حتى قال في كتابه المذكور: وهل جامع الكتب إلا ككانز الفضة والذهب؟! والمقصود بذلك ما لا يحتاج إليه، أما ما يحتاج إليه ولو على سبيل الاحتمال هذا لا يدخل، تجد العالِم عنده المكتبة فيها الألوف المؤلفة من الكتب لكن ما من كتاب إلا ويحتمل أن يحتاج إليه، مراجع يحتاجها طالب العلم لتحرير المسائل وتحقيقها هذا لا يدخل، لكن المراد بذلك الذي يجمع ما لا يحتاج إليه بحيث يشغله عن عبادة ربه وعما هو أهم، أما ما يعينه على تحقيق العبودية من فهم لكتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- فهذا لا شك أنه داخل في الهدف الذي من أجله خُلِق؛ لأن الوسائل لها أحكام الغايات {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [سورة التكاثر:١-٢]

على السبب الذي ذكره بعض المفسرين أنهم لم يكتفوا بالأحياء في تعداد عظمائهم وأشرافهم وإنما ذهبوا إلى المقابر وتفاخروا بالأموات، ولكن المعنى أعم من ذلك، أعني ما عليه جمهور أهل التفسير أنه ألهاكم التكاثر شغلكم التكاثر في الأموال والأولاد وعروض الدنيا الزائفة فلم تستفيقوا حتى زرتم المقابر، حتى مُتُّم وقُبِرتم وهذا حال أكثر الناس، أكثر الناس يموتون وحوائجهم في صدورهم، ويغدون ويروحون إلى أمور دنياهم ويقضون في ذلك جل الأوقات، ويتغافلون عما خلقوا من أجله حتى يموت أحدهم وهو في أمر دنياه غافلا عما خلق له، {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [سورة التكاثر:٢] المقبور في حكم الزائر؛ لأن القبور ليست محل إقامة، وإنما هو في حكم الزائر يُدفَن في هذا القبر ثم يخرج منه، كما أن الزائر لا يمكث عند من يزوره بل لا بد أن يعود ويرجع، وهذا لا بد أن يبعث وينشر من هذا القبر إلى الدار التي أعدت إما دار النعيم وإما دار الهلاك {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [سورة التكاثر:١-٢] وجاء الأمر للأحياء بزيارة القبور: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» وفي بعض الروايات «فإنها تذكر الآخرة أو تذكركم بالآخرة» وجاء الأمر أيضا بالإكثار من ذكر الموت «أكثروا من ذكر هادم اللذات» نعم إذا أكثرت من ذكر الموت زهدت في دنياك وأقبلت على ما خلقت من أجله، حينما تنظر إلى من هو فوقك في أمور الدنيا وتزدري نعمت الله عليك فإذا ذكرت الموت قنعت بما أعطاك الله- جل وعلا- «أكثروا من ذكر هادم اللذات» يعني ما ذكر في شيء قليل إلا كثره ولا في كثير إلا قلله، ولا شك أن الإكثار من ذكر الموت يعيد الإنسان إلى صوابه، يعيد الغافل إلى ذكره للهدف الذي من أجله خلق، وأيضا زيارة القبور تذكر الآخرة، وكان عثمان- رضي الله عنه- إذا زار القبور ونظر في القبر بكى فيقال له يا أمير المؤمنين تذكر الجنة والنار ولا تبكي وإذا رأيت القبر بكيت؟! فقال هذا هو أول المنازل التي يعرف بها المصير، من أول ليلة تعرف هل أنت شقي أو سعيد؟ هل أنت من أهل الجنة أو من أهل النار؟ لكن هل كل من زار القبور يتذكر أو يتعظ؟ هل كل من نظر في القبور يرعوي ويدَّكِر؟! لا، رأينا من يبيع ويشتري على شفير القبر!!، رأينا من يغتاب الناس على شفير القبر!! وسمعنا من يتحدث في أمور الدنيا والقيل والقال على شفير القبر!! قد يقول قائل أن كثرة الإمساس تقلل الإحساس، فكل ما أكثر الإنسان من زيارة القبور يقل إحساسه، هذا الكلام ليس بصحيح الكلام على حياة القلب، إذا كان القلب حيا ما زاده كثرة الترداد على القبور إلا الاتعاظ والاعتبار، لكن إذا كان القلب ميتا فما لجرح بميت إيلام، يعني بعض الناس يقول بلسانه أنه إذا نظر في القبر لا يحرك فيه ساكنا كأنه ينظر في حفرة الزيت التي يغير فيها زيت السيارات، لا فرق!! القرطبي أشار إلى شيء من هذا في تفسيره، وقال: إن بعض الناس لاسيما من قلبه فيه شيء من القسوة قد لا يستفيد من زيارة القبور، لكن هل يُعطَّل الأمر «فزوروها» لأنه لا يستفيد؟ لا، لا يعطل الأمر بل يمتثل الأمر ويزور القبور، لكن يحرص على أن يستفيد من زيارة القبور بأن ينتفع بنفسه وينفع المَزُوْر بدعائه، يقول القرطبي- رحمه

الله- من وصل إلى هذا الحد من قسوة القلب بحيث لا يستفيد من زيارة القبور الفائدة التي ترتبت عليها فإنه يحرص على حضور المحتضَرين وهم في السياق، يحرص على حضور ومشاهدة المحتضَرين وهم في حال السياق، لا شك أن هذه الحالة مؤثرة جدا مهما كان القلب قاسيا وهو يرى رجل أو امرأة والروح تصعد وتنزل وتحشرج في الصدر لا شك أن هذا مهما كان قلبه من القساوة لا بد أن يتأثر {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [سورة التكاثر:١-٢] إما أن تزوروها في حياتكم فإن لم تعتبروا فالمآل إليها بالزيارة الأخيرة التي لا خروج منها إلا بعد البعث، ولما سمع أعرابي هذه الآية قال: بُعث القوم ورب الكعبة! بُعث القوم وربِّ الكعبة! كم من المسلمين من يقرأ هذه الآية ولا يعرف دلالتها على البعث؟ بل من طلاب العلم قد يقرؤونها ولا تلفت أنظارهم أنها من دلائل البعث؛ لأن الزائر لا بد له أن يرجع، لا يتصور أن زائرا يزور قوما فيمكث عندهم ويستمر عندهم كواحد منهم لا، لا بد أن يرجع الزائر، ولا بد لمن زار المقبرة أن يعود إن كان حيا وإن كان ميتا، لا بد أن يعود لا بد أن يرجع إلى أهله إن كان حيا، ولا بد أن يبعث إن كان ميتا ولا يمكث في قبره إلى أبد الآباد {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [سورة التكاثر:٢-٣] تهديد ووعيد شديد لمن انشغل ولهى بحطام الدنيا عما خلق من أجله.

يـــا غـــافلا عمـــا خلقـــت لـــه انتبـــه ... جَـــدَّ الرحيــــل ولســــت باليقظــــان

الغافل لا بد أن ينتبه، لا بد أن يرعوي، بعض الناس ينشغل بجمع المال وكم رأينا من عموم المسلمين بل من خواصهم من بعض طلاب العلم من انشغل على أو بما يشتهر من تجارة في وقته إما أسهم، أو عقار، أو سيارات، أو ما أشبه ذلك ينشغلون، تجده يلهث وينشغل عن أعظم العبادات بعد الشهادتين- أعني الصلاة- يؤذن المؤذن ويقام للصلاة وتصلى صلاة الجماعة وقد يخرج الوقت وهو مشغول يلهث وراء دنياه، حتى سُمع من يقول آمين وهو ساجد يرفع صوته بذلك هل هذا منتبه لصلاته؟! أو منشغل وراء دنياه؟! وليس معنى هذا أن الدنيا تعطَّل لا، الله - جل وعلا- أمرنا بعمارة الأرض {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [سورة هود:٦١] السين والتاء للطلب، يعني طلب عمارتها، لكن ليست هي الهدف إنما هي من أجل تحقيق الهدف؛ لأن الهدف الذي هو تحقيق العبودية لا يمكن أن يتحقق بدون مال، وبدون قوت، ولا شك أن الذي لا ينسى نصيبه من الدنيا الذي يوصله وبه يحقق الهدف هذا القدر مطلوب، خير له من أن يتكفف الناس عالة يتسوَّل لا، لكن يبدأ بالأهم والغاية والهدف عبادة الله- جل وعلا- وحده لا شريك له، ويسعى في تحصيل ما يحقق به الهدف، وإذا سعى إليه بهذه النية صار من الهدف؛ لأن الوسائل لها أحكام الغايات، لا تستطيع أن تعبد الله- جل وعلا- بدون مال، اللهم إلا إذا أردت أن تعيش على أوساخ الناس، هذا شيء ثاني، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول لسعد «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» فإذا تُحدث عن الإقبال على الآخرة والزهد في

الدنيا لا يعني هذا أن الإنسان يجلس في بيته ينتظر من يتصدق عليه أو يموت من الجوع لا، يقبل على الآخرة وما يتوصل به من الوسائل مما يعينه على هذا الإقبال على الآخرة، هذا أيضا مطلوب شرعا {وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [سورة القصص:٧٧] بعض الناس يفهم من الحث على الإقبال على الآخرة يفهم منه أنه تعطيل للدنيا حتى كتب من كتب في الصحف، كتب من كتب من يذم الزهد في الدنيا ويقول أنه تعطيل للحياة، قال: كيف يُمدَح أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وفلان وفلان بأنهم زهاد وهم في الحقيقة إنما هو تعطيل للحياة نقول لا، هذا ليس بتعطيل للحياة، لا شك أن إيثار الأعلى على الأدنى هو عين الصواب وعين الحكمة، حتى قال بعضهم أنه لو أوقف على أعقل الناس لانصرف إلى الزهاد؛ لأنهم هم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى هؤلاء هم في الحقيقة أعقل الناس، لكن لا يعني أن الزهاد هم الذين يلزمون بيوتهم أو زواياهم حتى يتصدق عليهم لا، سفيان الثوري لما قيل له يا زاهد قال لا، الزاهد عمر بن عبد العزيز وليس أنا، الزاهد الذي في يده المال ليس الذي لا مال له، الذي لا مال له بم يزهد؟ قال الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي بين يديه الأموال ويزهد فيها ويتركها ويقبل على آخرته {كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [سورة التكاثر:٣-٤] والتكرار لتأكيد هذا الوعيد الشديد {كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} [سورة التكاثر:٥-٦] يعني لو أن الإنسان علمه علم يقين بما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- علمه علم يقين وليس مجرد مرور على اللسان أو حفظ من غير فهم ولا تدبر، مجرد مرور على اللسان نسمع ذكر النار ونسمع ذكر الجنة وكأن الأمر لا يعنينا {كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} [سورة التكاثر:٥-٦] كأنكم ترونها عيانا متى يصل الإنسان إلى هذه المنزلة؟ إذا جزم يقينا أنه هو المخاطَب بالقرآن يصل إلى هذه المنزلة، أما من يقرأ القرآن وكأنما يقرأ في صحيفة، أو يسمع أخبارا أو ما أشبه ذلك هذا لن يصل {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [سورة التكاثر:٧] يعني فيما بعد الآن علم يقين ثم لترونها عين اليقين، هنا علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، عندنا ثلاثة أمور كلها مرتبطة باليقين، واليقين الذي لا تردد فيه بحيث لا يحتمل النقيض معناه مائة بالمائة، لكن هذا اليقين يتفاوت فعلم اليقين ما يُتَوَصَّل إليه بالأخبار، وعين اليقين ما يتوصل إليه بالمشاهَدة، وحق اليقين ما يتوصل إليه بما هو أقوى من المشاهَدة وما ينضاف إليها من بقية الحواس، قالوا إذا أُخبرت أخبرك مائة من الثقات أن العسل متوافر في الأسواق هذا علم يقين، أنت ما رأيته بعينك لكن هؤلاء الثقات أخبروك بحيث لا يحتمل خبرهم النقيض هذا علم يقين، وقد ينزَّل منزلة المشاهَد في القطعية، وإذا ذهبت إلى الأسواق ورأيته بعينك هذا عين اليقين، ثم إذا رأيته بعينك وذقته أخذت منه شيء ولعقته هذا حق اليقين {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [سورة التكاثر:٨] قالوا كما في الخبر كأنهم تقالُّوا ما هم فيه من النعمة، كيف نُسأل عن النعيم وإنما هما الأسودان الماء والتمر فقال «إن ذلك لكائن» كائن السؤال كائن {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ} [سورة

التكاثر:٨] يعني خبر مؤكد باللام ومؤكد بنون التوكيد السؤال لا بد منه لا بد أن يكون هذا السؤال عن النعيم، خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- ووجد أبا بكر وعمر فقال «ما الذي أخرجكما؟» فقالا والله ما أخرجنا إلا الجوع فقال: «والله الذي أخرجكما لهو الذي أخرجني» أشرف الخلق أكرم الخلق على الله محمد بن عبد الله أخرجه الجوع، وأفضل الخلق بعد الأنبياء أبو بكر وعمر أخرجهما الجوع، لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء، والدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، أخرجهم الجوع ثم قال لهما النبي -عليه الصلاة والسلام- «هلما إلى أبي الهيثم رجل من الأنصار» فجاء لهما بالماء البارد وعمد إلى عناق أو جدي فذبحه وقدمه لهم، فلما أكلوا منه تلا النبي -عليه الصلاة والسلام- هذه الآية، يعني هذا في عرفنا أمر سهل عادي عند سائر الناس، هذا موجود بل عندهم ما هو أشد من ذلك، الآن مل الناس ألوان الأطعمة ووُجِد على بعض الموائد ما هو مستحضر ومحضر من القارات الست لكن الشكر هو العلاج {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [سورة إبراهيم:٧] فعلى الإنسان أن يلهج بذكر الله وشكره ولا يغتر بما أوتي من مال وولد وجاه وصنوف وأصناف ما يتنعم به في هذه الدنيا؛ لأنه يؤتى يوم القيامة بأنعم الناس فيغمس في النار ثم يقال له هل مر بك خير قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا ورب، لا والله ما مر بي نعيم، طيب سبعون، ثمانون سنة، تسعون، مائة سنة تتقلب في نعم الله لا شيء، ثم يؤتى بأتعس الناس وأبأس الناس فيغمس في الجنة ثم يقال هل مر بك بؤس قط فيقول لا ورب، فالدنيا كلها لا شيء بالنسبة للآخرة، "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها" ركعتا الفجر يعني التي جاء في صفتهما أنهما خفيفتان، تقول عائشة: لا أدري هل قرأ بأم الكتاب أم لا يعني في دقيقتين، ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها، خير من الدنيا بملياراتها، بقصورها، بذهبها، بحريرها، بكل شيء كل ما يخطر على البال، خير من الدنيا وما فيها، بعض الناس إذا كسب في يوم من الأيام كل على حسبه، أهل الثروات الطائلة إذا كسب كلٌّ بما يناسبه، بعض الناس لو يكسب مائة ريال ما نام من الفرح، بينما بعضهم لو يكسب ألفا لأنه متوسط، وبعض الناس لو كسب مليونا ما نام من الفرح وهكذا، لكن كل هذه الملايين لا تساوى شيئا، ما تزن عند الله جناح بعوضة، وبإمكان المسلم أن يقرأ القرآن في سبع ويكسب ثلاثة ملايين حسنة في أسبوع، وهذه هي الباقية، وأما العروض الزائلة من حطام الدنيا هذه كلها لا قيمة لها إلا إذا استعملت فيما يرضي الله- جل وعلا- وفيما يقرب إلى الله- جل وعلا-.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣٣/٧/١٢هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد روى الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- في كتاب الرقاق من صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » الغبن في عرف الناس هو بيع السلع برخص فاحش، يسمونه غبنا ويثبتون فيه الخيار للمغبون الذي باع سلعة قيمتها ألفا بستمائة مثلا قالوا هذا مغبون، ويحق له أن يدَّعي عند القاضي أن فلانا غبنه في سلعته، فيستحق الرد وله في هذا خيار الغبن عند أهل العلم، هذا غبن في أمور الدنيا، ولكن الغبن الحقيقي ما كان في أمر الدين والتفريط فيه؛ ولذا يقول الله- جل وعلا- {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [سورة التغابن:٩] يعني يوم القيامة هو يوم التغابن الحقيقي، فمن غبن في دينه فهو مغبون حقيقة، وبعض العلماء يستدل بالآية بقوله- جل وعلا- {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [سورة التغابن:٩] على أنه لا خيار للغبن في أمور الدنيا {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [سورة التغابن:٩] أسلوب حصر مفهومه أن الدنيا لا غبن فيها وإن سماه الناس غبنًا، فهو في الحقيقة ليس بغبن؛ لأن الدنيا أمرها سهل، فكون الإنسان يفوته شيء من أمور الدنيا يمكن تداركه، وإذا لم يمكن تداركه فالخطب سهل؛ لأن الدنيا أمرها عند الله- جل وعلا- حقير جدا، فهي لا تزن عنده جناح بعوضة، ولو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء، وجاء في الخبر: أن الدنيا الله- جل وعلا- يعطيها من يحب ومن لا يحب، بخلاف الدِّين فإنه لا يعطى إلا المحبوب عند الله- جل وعلا- الغبن في أمور الدنيا مثل ما ذكرنا بيع السلعة برخص فاحش، فما الغبن في أمور الدين؟ الغبن معروف أن الجن والإنس خلقوا لهدف وهو تحقيق العبودية لله- جل وعلا- "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" هذا هو الهدف من وجودهم في هذه الدنيا، فمن حقق الهدف فهو المغبوط بالطاعة، ومن ضيع هذا الهدف وفرط فيه فهو المغبون، المسلم في تجارة مع الله- جل وعلا- كما أنه وسائر الخلق في تجاراتهم في أمور دنياهم، فالمؤمن يتاجر مع الله- جل وعلا- ويسعى لكسب الأجور والأرباح {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [سورة الصف:١٠] هذه هي التجارة الحقيقية {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً} [سورة فاطر:٢٩] ماذا لهم؟ {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ} [سورة فاطر:٢٩] ليس مثل تجارات الدنيا التي ترتفع يوما، وتنزل ويوما، يوما تَنفُق، ويوما تَكسُد لا، تجارة لن تبور، فالذي يتاجر مع الله- جل وعلا- هل يليق به أن يفرط في لحظة من لحظاته وهو يتاجر مع الله؟! إذا كان الناس في تجاراتهم في أمور الدنيا يحرصون على اغتنام كل أوقاتهم وجميع الفرص التي تسنح لهم في جمع الحطام من هذه

الدنيا الذي قد يكون مباحًا، وقد يكون محرَّمًا، وقد يكون واجبًا في بعض الصور إذا كانت الحياة لا تقوم إلا به، لكن المتاجرة مع الله- جل وعلا- بالإيمان به، والإخلاص له، وتحقيق أركان الإيمان، وتحقيق أركان الإسلام ومن ذلك ما نُصَّ عليه في هذا الباب {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} [سورة فاطر:٢٩] هذه ميادين فسيحة للمتاجرة مع الله -جل وعلا- {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [سورة فاطر:٢٩] كيف يتاجر مع الله- جل وعلا- في تلاوة كتابه؟ بأن يقرأ القرآن وله بكل حرف عشر حسنات، والحمد لله قراءة القرآن الآن متيسرة، يعني إذا كان في عصر مضى يقل القرأة، وبعض البيوت تخلو ممن يقرأ، وقد تخلو من مصحف، وقد تخلو من نور يستعين به على القراءة، إذا كان لا يحفظ في الليل مثلا فالأمور كلها متيسرة، قد يوجد من كبار السن من لا يعرف ولا يحسن القراءة، لكن بإمكانه أن يستمع وله مثل أجر القارئ، لا يوجد بيت الآن من بيوت المسلمين إلا وفيهم من يقرأ ويكتب، فإذا استمع لقراءة ولده أعانه على القراءة وأجر الاستماع، وإذا استمع لقراءة ابنته كذلك وهكذا، أو استمع للقرآن من مسجل مثلا بصوت قارئ مجوِّد ندي مؤثِّر يتغنى بالقرآن فيثبت له الأجر، ويثبت له أجر الاستماع وله أجر الانتفاع بالقرآن، فبالقرآن يحصل التذكير كما قال الله- جل وعلا- {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [سورة ق:٤٥] وكم من شخص تغيَّرت حياته تغيُّرًا جذريا بسبب سماع آية، ولا شك أن القرآن مؤثِّر بذاته ولو لم يكن المستمع من أهل العلم، أما إذا كان من أهل العلم فهذا ميدانه ينتفع لاسيما إذا ألقى السمع وهو شهيد، يعني قلبه حاضر، أو قرأ القرآن بنفسه على الوجه المأمور به من التدبر والترتيل، ومعلوم أن هذا من أنفع ما ينتفَع به في علاج أمراض القلوب قراءة القرآن على الوجه المأمور به، فإذا كانت قراءته التي يتحقق فيها مسمى القراءة بكل حرف عشر حسنات، والقرآن معدود عند أهل العلم حروفه ثلاثمائة ألف حرف فتكون الختمة الواحدة فيها ثلاثة ملايين حسنة، متى يكسب الإنسان ثلاثة ملايين في عمره من حطام الدنيا التي لا تزن عند الله جناح بعوضة؟ قد يفنى عمره ما كسب ولا عشر ولا معشار هذا المبلغ! ومن الحسنات التي تُدَّخَر له وتكون في ميزانه في كفة حسناته من هذه الأجور العظيمة ما يحصل عليه بأيسر الأسباب وبأقصر وقت، المتاجرة مع الله- جل وعلا- بقراءة كتابه تكون بتلاوته على الوجه المأمور به، وتكون أيضا بحفظه «اقرأ وارق وارتق في درج الجنة» وتكون أيضا بالعمل به، وتكون أيضا بتعلمه وبتعليمه كما جاء في الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» هذه متاجرة مع رب العالمين، متاجرة إذا حصَّل الإنسان المكاسب العظيمة بهذا العمل الميسَّر والله- جل وعلا- يقول: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [سورة القمر:١٧] كسب أجور عظيمة بعمل يسير على من يسره الله عليه، وإلا كثير من الناس ينظر إلى المصحف ويفتحه طالبًا لمثل هذه الأجور ثم لا يلبث أن يغلقه؛ لأنه ما تعوَّد، ونجد أناسا عليهم علامات الصلاح ووفدوا إلى هذه البقاع المقدَّسة التي تضاعَف فيها الأجور وتنتهي

أوقاتهم في القيل والقال، حتى تجد الإنسان في المسجد ينتظر الصلاة ويصعب عليه أن يمد يده إلى العمود الذي بجواره فيأخذ مصحف ويقرأ، الله- جل وعلا- يقول {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [سورة القمر:١٧] هل من متذكر: هل من متعظ؟ ولا بد أن يكون للإنسان رصيد سابق تعرَّف فيه على الله- جل وعلا- في هذا الباب وفي غيره من أبواب الخير، تجد الإنسان يصلي العصر في رمضان في هذا المسجد وينتظر صلاة المغرب، ينتظر الإفطار وقد يمتد الوقت إلى ثلاث ساعات كما في وقتنا هذا، كم يقرأ في ثلاث ساعات؟ يقرأ نصف القرآن إذا كان معتادا وضابطا للقرآن، افترض أنه يقرأ عشرة أجزاء، يصير له فرصة يعني ثلاث عصريات ينتهي القرآن، لكن نجد بعض من عليهم آثار الصلاح والاستقامة وعندهم شيء من طلب العلم والاهتمام به، تجده يستند على عمود بعد صلاة العصر ثم يفتح المصحف ليقرأ ثم يلتفت يمينا وشمالا لينظر هل جاءه أحد أو رأى أحدا يعرفه ليتحدث معه ويمضي معه الوقت، كأنه محكوم عليه بقضاء هذه المدة بحيث إذا انتهت هذه المدة أطلق صراحه، فهو يقضي هذه المدة بأي شيء لا يدري أنه مغبون؛ لأن هذا فراغ لا بد أن ينقضي، فإذا قضى هذا الفراغ بما يرضي الله - جل وعلا- فهو المغبوط وإذا قضاه بما لا يرضيه فهو المغبون، والغبن متفاوت وفرق بين من قضى هذا الفراغ في مباح وهو مع ذلك مغبون لكنه أفضل ممن قضاه بمحرم، الفراغ نعمة من نعم الله- جل وعلا- يتصور الإنسان وهو منشغل بمعيشته ومعيشة أولاده يكد ويكدح كما كان الناس قبل انفتاح الدنيا يشتغلون ليل نهار في أيام الصيف الحارَّة والشتاء القارس كسبا للقمة العيش، والآن وقد كفوا وتفرغوا فما صار لهم حجة، يعني المشغول بتحصيل ما يقوم بأوده وأود من يمون هذا له نوع عذر، مع أن الأصل أنه مخلوق للعبادة، لكن إذا سعى في تحصيل ما يحقق به هذا الهدف بنية صالحة أجر عليه، لكن الإشكال في وضعنا وفي ظرفنا الذي نعيشه لا نحتاج من الوقت في الشغل ولا إلى عشر الوقت وتسعة أعشاره فراغ فإما أن يستغل هذا الوقت فيما يرضي الله فيكون الشخص مغبوطا، أو يضيع هذا الوقت فيكون مغبونا، أيضا الصحة على الإنسان أن يغتنم وقت صحته؛ لأنها لا تدوم، كما أن الفراغ لا يدوم أيضًا، الظروف تختلف والأحوال تتغير فمن عنده فراغ في هذا اليوم قد يكون مشغولا في الغد فعليه ألا يؤجِّل عمل اليوم إلى الغد، وأن يستغل كل لحظة من لحظاته فيما ينفعه عند الله- جل وعلا- وكذلك الصحيح عليه أن يستغل هذه الصحة؛ لأنه اليوم يستطيع أن يصلي قائمًا غدا ما يدريه أنه قد لا يستطيع، قد تشق عليه الصلاة ثم بعد ذلك إذا شقت عليه الصلاة وجاءه المرض وقدره الله عليه وكتبه عليه ورضي وسلَّم، فإن كان له سابقة في وقت صحته من استغلال لوقته فيما يرضي الله كتب له ما كان يعمله صحيحًا، حتى إذا مرض وعجز عن العبادة، عجز عن القراءة، عجز عن صلاة النوافل، عجز عن صيام النوافل، وكان يفعله في صحته فإنه يكتب له ما كان يعمله صحيحًا، وكذلك المسافِر، فعلى المسلم أن يغتنم الأوقات التي تضيع هدرا من كثير من

المسلمين، عليه أن ينظر بعقل وحزم لا تضيع أوقاته سدى، ولا تضيع صحته بحيث إذا جاء الشغل ندم ولات ساعة مندم، وكذلك إذا مرض ندم على صحته حيث لم يستغلها فيما يرضي الله -جل وعلا- الشباب أيضًا مظنة الصحة والقوة وهذا هو الأصل، فليتصوَّر الشاب النشيط الممتَّع بقواه أنه سوف يأتي عليه وقت قد يعتريه ما يعتريه في يوم أو يومين أو ثلاثة صداع، أو زكام، ويثقل عن بعض الأعمال ويتصور أن هذا الوصف سوف يلازمه إذا كبرت سنه عنده الثقل- ثقل البدن- وثقل السمع، وضعف البصر، وضعف القوى، فالسعيد من اتعظ، إذا مر عليك يوم من الأيام وأنت مزكوم، أو في صداع، تذكر أنك فيما بعد إذا طال عمرك أن هذا يكون هو الأصل عندك، بدنك ثقيل إذا أردت أن تقوم للصلاة بدلا من أن تقوم نشيطا مستعدا لها تطيل القراءة وتطيل الركوع والسجود قد يأتي وقت لا تستطيع ذلك، فاعمل لمثل هذا الظرف في وقت صحتك حتى إذا ما جاءك المانع من مرض أو سفر أو غير ذلك فإنه يكتب لك ما كنت تعمله، وهذا من فضل الله- جل وعلا- على المسلم بحيث لو انقطع من العمل بسبب لا يد له فيه فإن أجره لا ينقطع بفضل الله- جل وعلا- «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس» الله- جل وعلا- يقول: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سورة سبأ:١٣] هذا في مقابل الكثير المغبون، فالمقابَلة في الغبن عند كثير من الناس يقابلها الشكر عند القليل من الناس، فلتكن من هؤلاء الشاكرين الذين هم قلة بالنسبة لغيرهم ولا تكن من المغبونين وإن كثروا، فلا يغرنك كثرة السواد العبرة بما يرضي الله- جل وعلا- «الصحة والفراغ» هذه من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده لاسيما المسلمين الذين يسعون في مرضاته، ويبذلون الأسباب إلى الوصول إلى الجنة والنجاة من عذابه، وأعظم ما امتن الله به على العباد نعمة الإسلام، يتصور الإنسان ويتخيل أنه لو لم يوفَّق في الدخول في الإسلام وحينئذ تكون الجنة عليه حرام ومأواه النار، ثم ينظر إلى هذا النعيم الذي حرم منه، وإلى هذا العذاب في نار الجحيم الذي أعد له، لو يتصور الإنسان نفسه لحظة أنه غير مسلم، ويتصور مثل هذا أظن إذا كان القلب حيا ما نام في تلك الليلة فزعا، إذا كان كثير من الطلاب من هيبة الرسوب يفزع في ليلته قد لا ينام وفي كل لحظة ينتبه يتوقع أن الامتحان فاته، حدثني ناس تخرجوا من عشر سنين وأكثر يقول: مازلنا نفزع في الليل نتوقع أن الامتحان فات، ما هذا الامتحان؟ وما الذي سيفوتك من جراء هذا الامتحان؟ لكن لو رسبت في الامتحان الأكبر حينما توسد التراب في قبرك، وتسأل عن ربك، وعن دينك، وعن نبيك، ثم تصور أنك قلت هاه هاه لا أدري هذه الكارثة، هذا الذي لا يعوَّض، وإلاَّ إذا لم تنجح هذه السنة أو إذا لم تنجح في الدراسة كلها توجد مجالات أخرى والدنيا ليست فائتة، لكن العبرة بالدين الذي هو رأس المال.

وكـــل كســـر فـــإن الـــدين يجبـــره ومـــا لكســـر قنـــاة الـــدين جبـــران

أعظم نعم الله- جل وعلا- على المسلمين هذا الإسلام، وهذا الدين الذي رضيه لنا، ونحمد الله ونشكره على ذلك ونسأله الثبات عليه إلى الممات إلى أن نلقاه عليه، هذه أعظم نعمة امتن الله عليهم، ثم بعد ذلك الموفق للعمل بجميع الشرائع من أركان وواجبات وسنن، واجتناب المحرمات والمكروهات والشبهات، هذا هو من تمت عليه النعمة، ومن أخل بشيء من ذلك فقد من هذه النعمة بقدر هذا الخلل بقدر هذا الخلل نعمة الإسلام، ونعمة الإيمان وذكرنا أيضًا ما جاء في الحديث «الصحة والفراغ» والتنصيص عليهما لا ينفي غيرهما لكن كثير من الناس يفرط فيهما، النعم الأخرى قد يكون التفريط فيها أقل، لكن الفراغ سهل أن يقضي الإنسان الساعات مع أهله أو مع أقرانه وأحبابه في القيل والقال دون أي فائدة، هذا إذا ما تعدوا ذلك إلى المحرَّم هذا يسير على الناس، والواقع يشهد به، اجتماعات، وجلسات، وأسفار، ونزهات، واستراحات تقضي على الأوقات، لكن الموفَّق من يستغل حتى هذه الجلسات المؤنسة مع الإخوان ومع الأهل، يستغلها وما الذي يمنعه أن يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أمر يسير جدا، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ولا تحتاج منك أي جهد، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، الباقيات الصالحات، غراس الجنة، سبحان الله هذا فورا شجرة في الجنة، سبحان الله وبحمده سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أربع كلمات في أربع من شجر الجنة، أنت اغرس واترك، لا تتعاهد، تقول: سقي، أو عمال يراقبون، أو شيء، أنبتت أو لم ينبت جاءته عاهة أو آفة لا، اغرس واترك الأمر إلى الله- جل وعلا- ولا تقول والله عندي رصيد شجر ونخيل وبستان كامل من هذا الرصيد ثم بعد ذلك تقطع الإعانة، أو ينقطع الماء، أو يتأخر نزول المطر، فيتأثر الغرس لا، أنت عليك أن تعمل والحفظ اتركه ليس لك، ولا تقول والله اليوم ارتفعت الأسهم أو انخفضت الأسهم ما لك علاقة، هذا أمر محفوظ ولا يستطيع أحد أن يتصرف فيه إلا أنت، فانتبه لنفسك لأنك قد تجمع أعمالا أمثال الجبال ثم توزعها على مَن؟ على والديك؟ لا، على أحبابك وأصحابك؟ لا، على أعدائك؛ لأن السنة جرت أنك لا تغتاب ولا تظلم ولا تضرب ولا تنتهك شيئا إلا من شخص لا تحبه، فأنت تهدي له أعمالك وأنت اللص الذي يسرق أعمالك، فعلى الإنسان أن يحرص على الجمع وأن يحفظ ما جمع، لا يفرط فيه بعدما تعب، الذكر يا إخوان لا يكلِّف شيئا، قد يقول بعض الناس أن قراءة القرآن أنا ما حفظت وسأتوضأ وأشغل النور، لا تتوضأ ولا تشغل النور، وأنت بفراشك أكثر من الذكر: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر في دقيقتين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كمن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، هل يستطيع أحد أن يشكك في هذا الموضوع وكلها في الصحيح؟ كلها في البخاري ما تقول أحاديث ضعيفة أو مشكوك فيها، سبحان الله وبحمده مائة مرة في دقيقتين

حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر، ومثل ما قلنا لا إله إلا الله عشر مرات كان كمن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، كم يحتاج من وقت وجهد وتعب وكد وكدح ليجمع قيمة رقبة؟ قد يموت وما يتيسر له جمع قيمة رقبة، وأنت تقولها في دقيقة وتعتق أربعة من ولد إسماعيل، الوعد جاء على لسان من لا ينطق عن الهوى، ما جاء والله في جريدة، أو صحيفة أو قناة أو بشيء لا، ولا هو توقع ولا تحليل ولا استنتاج هذا كلام صحيح صريح عمن لا ينطق عن الهوى، ومن أين؟ من خزائن من لا تنفد خزائنه، من خزائن الرب التي لا تنفد، بعض الناس قد يستكثر فضل الله-جل وعلا-ويقول هذا شيء غير معقول بدقيقتين أحصل على هذه الأمور كلها؟! نقول الله-جل وعلا- الذي يقول لآخر شخص يخرج من النار ويدخل الجنة، آخر شخص يقال له تمن، تنقطع به الأماني ما له وجه للتو خرج من النار ماذا سيقول؟ يكفيه أنه دخل الجنة، تنقطع به الأماني فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك أعظم ملك في الدنيا؟ يقول إي وربي، فيقال لك ومثله ومثله ومثله إلى عشرة أمثاله، أعظم ملك في الدنيا يمكن هارون الرشيد ملك ثلاثة أرباع الأرض وهذا سيعطى عشرة أمثاله، دعنا من الملوك الأربعة الذين ملكوا الدنيا بكاملها يعطى عشرة أمثاله، أين سيذهب هذا؟ تصور هذا آخر من يخرج من النار فماذا عمن دخل قبله؟ فماذا عن الزمرة الأولى التي تدخل الجنة؟ يا إخوان فضل الله واسع، ولا يحد، لكن أيضًا الحرمان لا نهاية له، والحرمان يحصل بسبب الإنسان نفسه، الإنسان هو الذي يتسبب ويسعى لنفع نفسه أو لحرمان نفسه.

كم الساعة؟

طالب: ....

كم باقي؟

طالب: ....

{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ} [سورة فاطر:٢٩] وأقاموا الصلاة ميدان فسيح، والصلاة خير الأعمال وخير ما يستكثر منه من الأعمال بدءًا بالفرائض الصلوات الخمس التي لا بد منها، وأيضًا ما أوجبه الإنسان على نفسه بنذر أو نحوه وإن كان دون الأولى، وأيضًا السنن المتأكِّدَة، والرواتب والسنن المطْلَقة، لو قيل لأهل القبور ماذا تتمنون؟ يتمنون ركعتين، نحن نتقلب على الفرش، وعلى الأرائك الساعات الطوال، وتجد الإنسان مع أهله أو مع أحبابه يسهر إلى ساعة متأخرة من الليل، فإذا جاء الثلث الأخير من الليل نازعته نفسه هل يوتر بثلاث ركعات أو يزيد ركعتين أو ينقص ركعتين أو لا يشبه هذه النافلة بالواجبات كما يقول له الشيطان فيتركها الليلة؛ لئلا يظن وجوبها كما قال بعضهم، والشيطان يتلاعب به ولو عزم على نفسه

واستعاذ من شيطانه ثم قام وتوضأ وصف قدميه ومثل بين يدي ربه- جل وعلا- وناجاه وناداه بحوائجه وحط أوزاره والله- جل وعلا- ينزل في الثلث الآخر من كل ليلة، وتجد الناس في الثلث الأخير أو كثير منهم، وقليل منهم من يستغل مثل هذا الوقت، وكثير منهم في القيل والقال أو في النوم، وهذا هو ضياع الوقت الذي يُغبَن فيه الإنسان وقتل الفراغ الذي هو في الحقيقة، حقيقة الإنسان عمره وما يودعه في خزائنه من هذه الليالي والأيام، هذه حقيقته وإلا الباقي لحم ودم، ما الفرق بينه وبين البهائم بعض البهائم أقوى منه وأشد وأنفع من كثير من الناس، بعض الناس عالة وبعض البهائم يستفاد منها، لكن الإنسان مُيّز وشُرِّف بالعقل الذي هو مناط التكليف، فإذا لم يستعمل هذا العقل فيما ينفعه فما فائدة هذا العقل؟ إذا لم يستعمل السمع فيما ينفعه فما فائدة هذا السمع؟ إذا لم يستخدم البصر فيما يعود عليه بالنفع فما فائدة هذه النعمة؟ تنقلب وبالا على صاحبها، قد يكون الإنسان من أذكى الناس لكن لا فائدة، يستعمل هذا الذكاء في الضحك على الناس والاستخفاف بهم والثاني أقل منه بكثير في الذكاء لكنه استعمل هذا العقل فيما يرضي الله -جل وعلا- فرق كبير، الإنسان يُمدَح بما ينتفع به، أما إذا كانت هذه الغرائز وهذه الملَكات هدر لا تفيده ولا تنفع غيره فإن وجودها مثل عدمها إذا لم تنقلب إلى الضد، فرق بين من يستمع كلام الله- جل وعلا- ويستمع الذكر ويغشى مجالس الذكر وبين من يستمع الأغاني والمعازف والسب والشتم، وكل إنسان على ما عاش عليه سوف يوافي عليه إلا إن تداركه الله- جل وعلا- في آخر عمره، الإنسان يعيش على حب الخير والذكر والتلاوة والعبادة يموت عليها، الله جل وعلا لطيف خبير لا يخيِّب رجاء من رجاه، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، لو زرتم المستشفيات ورأيتم المرضى الذين ينازعهم الموت في السكرات وفي العنايات وهذا شيء ليس بافتراضي ولا شيء متوقَّع إنما هو واقع سُمع من يقرأ القرآن وهو لا يعي، واضح من لسانه لأنه صاحب قرآن، سُمِع من يكبِّر تكبيرة الإحرام وينتقل من الركوع إلى السجود إلى السلام وهو لا يتحرك منه شعرة، سمع من يؤذن وهو على هذه الحال سمع، مَن يلعن ويسب ويشتم، والله- جل وعلا- يقول {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [سورة الليل:٤] فعلى الإنسان أن يتعرف على الله في الرخاء ليعرفه في الشدة، الإنسان لا بد أن يكون له تاريخ وله حسن تعامل مع الله- جل وعلا- وصدق لجأ إليه وانكسار بين يديه ومع ذلك مع حرصه الشديد على لزوم الاستقامة والإكثار من العبادات، مع ذلك لا يفتر لسانه من سؤال حسن الخاتمة لئلا يكون قد عمل عملا لم يلقِ له بالا تأتيه المصيبة والكارثة بسببه «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفا » «إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» على الإنسان أن

يكون خائفا وجلا من العاقبة والخاتمة مع بذل الأسباب أسباب النجاة وأسباب الثبات على الدين وملازمة الأخيار وترك صحبة الأشرار وملازمة ذكر الله وشكره على كل حال.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحرم العامة

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣٣/٧/١٩هـ	المكان:	

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان عبد الله يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، «كن في الدنيا كأنك غريب» الغريب الوافد على بلد لا يَعرِف ولا يُعرَف، تجده لا ينبسط في هذا البلد؛ لأنه غير معروف، ولا يُنبسَط ولا يرتاح إليه، وحينئذ تجده قليل الخلطة مع الناس، قليل الانبساط معهم، قليل الكلام، ومن لازم ذلك أنه إذا قلت الفضول عنده أنه يجمع قلبه وينحصر فيما هو بصدده، سواء كان وفِد إلى هذا البلد وتغرَّب عن أهله وذويه لأمر دين أو أمر دنيا، إذا كان لأمر دين كمن هجر بلده وأهله لأنهم يشغلونه عما ينفعه، أو هاجر لطلب علم ليتفرغ، والرحلة في طلب العلم سنة مأثورة ومن فوائدها أن يتفرغ الإنسان عن الشواغل والصوارف الموجودة في بلده إلى بلد الغربة، وليس معنى بلد الغربة أنه يغترب عند غير المسلمين، هو هرب من أمر موجود بين المسلمين يشغله من المباحات ويغره فلا يقال أنه يغترب إلى بلاد الكفر ويتفرغ لطلب العلم هناك لا، الآن الهجرة واجبة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ومستحبة من بلاد الفسق إلى بلاد الاستقامة، وهذا قدر زائد على ذلك الاغتراب للتفرغ لطلب العلم، هذه غربة والتفرغ فيها محسوس والسبب ظاهر أن الانشغال بالأهل والمعارف والزملاء والأصدقاء وكل له حقه من الصلة مما يترتب على ذلك كثرة الخلطة بالناس مما لا يستطاع ضبطه من قبل كثير من خاصة الناس فضلا عن عامتهم؛ ولذا تجدون في وقتنا الذي نعيش فيه بعد أن انفتحت الدنيا على الناس وكفوا مؤونة أرزاقهم، تجد الفضول عندهم كثير الفضول كثير رحلات، ونزهات، واستراحات، وتقضى الأوقات بالقيل والقال، ولا شك أن هذه الفضول من أضر الأمور على القلب لاسيما إذا صحبها فضول كلام، وفضول نظر في هذه القنوات التي لا يسلم منها إلا من سلَّمه الله ووفَّقه، فضول نظر، وفضول سماع، ومن لازم هذه الاجتماعات الطويلة فضول الأكل أيضا الذي ينشأ عنه السهر، ويترتب عليه أيضًا فضول نوم فيسهر في الليل فيما لا ينفع ثم يترتب على ذلك وينشأ عنه نوم في النهار وقضاء للأوقات فيما لا ينفع، وقد تقضى الأوقات فيما يضر، في الدرس السابق تحدثنا عن أهمية الوقت وقيمة الوقت في حديث «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» مع الأسف أن الزمن الوقت الليالي والنهار الساعات والدقائق هي عمر الإنسان وهي حقيقته، إن عمر هذا الوقت فيما ينفعه في دنياه وأخراه هذا مغبوط كما تقدم، لكن إن ضيع هذا الوقت الذي هو في حقيقته عمره فإنه حينئذ يكون مغبونا، الغريب عرفنا أنه لا أهل له ولا معارف ولا أصدقاء ولا زملاء فيضطر إلى أن ينجمع وينحصر وينزوي لأنه في دار الغربة لا يألَف ولا يُؤلف، فيترتب على ذلك إلى أن يكون عنده وقت طويل وهذا الوقت يستغله فيما ينفعه كثير من طلاب العلم إذا كثرت لديه الأعمال والمشاغل، أو صار عنده كتاب يريد حفظه أو مؤلَّف يريد تحريره، فإنه ينتقل من بلده إلى بلد آخر ليجتمع عليه وينجزه، أما مادام عند أهله وذويه ومعارفه فإن الوقت يضيع كثير منه، والحزم مع هذا الترف الذي نعيشه قليل في الناس حتى عند طلاب العلم، المسلم ينبغي أن

يكون حازما ضابطا لوقته متقنا لأعماله «كن في الدنيا كأنك غريب» أو أشد من ذلك عابر سبيل «أو عابر سبيل» كأنك في طريق ماشي في مفازة هل تركن إلى هذه المفازة وتقيم فيها؟ لا، لا شك أنك تسرع في قطع هذه المفازة؛ لأن السفر كما جاء في الحديث «قطعة من العذاب» فالإنسان يحرص على قطع هذه المفازة ليعود ويرجع إلى مكان راحته وبلده، إذا تصور الإنسان نفسه أنه غريب حرص على اغتنام الوقت، وإذا صور نفسه أنه عابر سبيل لم يطل الأمل؛ لأن عابر السبيل هل يتصوَّر أن شخص مسافر من بلد إلى بلد في أثناء الطريق ينظر إلى قطع الأراضي ويتمنى أو يبحث عن أصحابها ليشتريها؟ هو عابر سبيل ليس بمقيم هكذا ينبغي أن يصوِّر الإنسان نفسه في هذه الحياة، وأن يعرف أن هذه الدار دار ممر وليست بدار قرار، دار القرار هي الآخرة، إذا عرف أنه عابر سبيل هل يشيِّد العمارات الشاهقة في طريقه وفي سبيله الذي يعبره مجرد عبور؟ أنت ماشي من بلدك إلى هذه الديار المقدَّسة وطريقك آلاف الأميال أو مآت الأميال إذا جلست في بلد أو مررت ببلد وأردت أن تأخذ وتتزود منه وقود أو طعام أو غير ذلك وتعرض عليك أرض تشتري أو ما تشتري؟ أنت واقف تعبي بنزين ما تشتري لأنها ليست بدار إقامة لك، هذا ممر فتصور الدنيا كلها من ولادتك إلى موتك عابر سبيل، هل تحرص على أن تشيد العمارات الشاهقة وتقيم القصور وتنسى ما خلقت من أجله؟ أنت مخلوق لتحقيق هدف وهو تحقيق العبودية لله–جل وعلا–ولا مانع، بل طُلب منك ألا تنسى نصيبك من الدنيا الذي تحقق به هذا، فالدنيا ليست بهدف وإنما هي من أجل تحقيق الغرض الذي من أجله خلقت، وإذا كانت وسيلة هل تقدم على الغاية؟ لا تقدم على الغاية؛ ولذلك الذي يتوضأ ساعة حتى يفرغ الناس من الصلاة ماذا يقول الناس عنه؟ الوضوء من مقدمات الصلاة ومن شروطها ومن وسائلها فإذا ترتب عليه ضياع الصلاة هل حقق الهدف الذي من أجله خلق؟! ولو كان منشغلا بعبادة وطاعة لكنه أخل بالغاية واشتغل بالوسيلة هذا الذي يشتغل بأمور الدنيا وينشغل بها عما خلق له، هذا اشتغل بالوسيلة وما اشتغل بالغاية هذا إذا نظر إليه بعين البصيرة هذا خلل في تصوره؛ ولذا يقول أهل العلم أنه لو وقف على أعقل الناس، وجد وقف على أعقل الناس، أو وصية لأعقل الناس انصرف إلى الزهاد؛ لأن حقيقة العقل وتمام العقل أن يستعمل فيما ينفع، قد يستعمل فيما ينفع لكن غيره أنفع منه، فالعاقل الذي يقدم الأنفع على غيره وإن كان نافعًا، فالذي يقدم دنياه على أخراه لا شك أنه في تصوره خلل؛ لأنه خلق لهدف وأضاع الهدف واشتغل بما هو في الأصل وسيلة لتحقيق الهدف، وقد يزعم أنه يتوصل به إلى الهدف وهو في الحقيقة غاية وهذا حال كثير من الناس، تجد كثيرا من الناس بحاجة إلى أن يذكَّر بنصيبه من الآخرة لأنه انشغل بدنياه، وإن جاء لأداء الفرائض تجد القلب غير موجود منشغل بالغاية التي حددها لنفسه وهي الانشغال بالدنيا، ولا شك أن الدنيا ضرة بالنسبة للآخرة، الاهتمام بها والعناية بشأنها مخل بضرتها وهي الآخرة، فعلينا أن نسعى لتحقيق ما خلقنا من أجله ونستعين بالوسائل التي تعيننا

على تحقيق هذا الهدف، ومن ذلك ألا ننسى نصيبنا من الدنيا لئلا نكون عالة على الناس نتكفف الناس «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» المسلم إذا سمع مثل هذا الحديث «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» فقد أبرم الصفقات والاتفاقيات والعقود طويلة الأمد غافل أو متغافل عن مثل هذا الحديث، ما موقفه هل يلغي هذه العقود وينصرف بدلا من أن يذهب إلى دكانه أو حانوته يذهب إلى المسجد ليتعبد؟ أو إلى حلق العلم فيتعلم ويترك أمور دنياه؟ لا شك أنه في مثل هذه الحالة له وعليه، ملتزم بلوازم لا بد من الوفاء بها، لكن يحرص كل الحرص أن تكون معاملاته شرعية ثم يتخفف منها قدر الإمكان حتى يصل إلى تحقيق هذا الأمر الذي وجه لعبد الله بن عُمَر وهو في الحقيقة للأمة كلها «كن في الدنيا» هو ما يقصد عبد الله بن عمر، هذا خطاب لابن عمر وجه به ابن عمر والمراد به جميع المسلمين، ومن منا مثل ابن عمر؟! إذا سمع شيئا بادر إلى الامتثال والتطبيق، فكان عبد الله بن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وهل معنى هذا أن الإنسان يجلس وينتظر الموت ويترك الأسباب والوسائل التي تعينه على أمور دينه ودنياه ويترك المصالح العامة المتعلقة بشؤون المسلمين؟ لا، هذا لا ينافي الأخذ بالأسباب لكن الحذر كل الحذر أن تكون هذه الأسباب وهذه الوسائل هي الغاية، أما أن تكون وسائل موصلة إلى الغاية التي من أجلها خلق هذا مطلوب، إذا أصبحت فلا تنتظر المساء هذا ابن عمر هل عرف عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه جلس في زاوية في بيته أو في مسجده ولا يتعامل مع الناس ولا يخرج إليهم ولا ينفعهم ولا يأمرهم ولا ينهاهم؟ هذا الكلام ليس بصحيح، والأمل نعمة من نعم الله وإن كانت إطالته مذمومة، نعم تسعى وتعمل وتخطط للمستقبل تخطيطا تنتفع به وتنفع به غيرك، لكن لا يكون هو الهدف، لو أن كل إنسان قصر أمله من غروب الشمس إلى طلوعها مثلا لا ينتظر الصباح وجلس في بيته يقول أنا أنتظر الموت لا أنتظر الصباح أو العكس، هذا لم يرد به شرع، لكن هذه مبالغة من عبد الله بن عمر في تقصير الأمر؛ لأن طول الأمل يشب ابن آدم ويشب منه خصلتان حب الدنيا وطول الأمل، طول الأمل يجعلك تفرط ولا تبادر ولا تسارع ولا تسابق لأنك جعلت الأمل طويلا وبدلا من أن تعمل في هذا الشهر تعمل في الذي يليه، وبدلا من أن تعمل في هذه السنة تؤجِّل مشاريعك وقد تكون علمية وقد تكون شرعية إلى سنة قادمة هذا هو المذموم، أنت اعمل بقدر ما تستطيع وابذل الأسباب والوسائل بما ينفعك، فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء بمعنى أنه لا يطول عندك الأمل بحيث يترتب على ذلك تأجيل الأعمال حتى يبغتك الأجل وأنت تسوِّف بالأعمال، تسوف بالتوبة، هذا لا شك أنه مذموم؛ لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الأجل فيموت مفرطا، فيندم ولات ساعة مندم، ابن عمر معروف بالمبادرة بالامتثال، إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، الآن أعظم ما يواجه الناس من صعوبات الحياة السكن، السكن من الصعوبات، الزواج مثلا من الصعوبات، وسيلة

النقل السيارة والسكن أعظم هذه الأمور، تجد الإنسان طيلة عمره يكد ويكدح ليوفِّر سكنا قد يتيسر وقد لا يتيسر، وإذا شرع في مشروع في بناء ليسكنه هو وأولاده وإن كانت أسرته صغيرة يحتاج إلى وقت طويل لتشييد هذا المبنى سنة سنتين وأحيانا ثلاث، ابن عمر ذكروا أنه بنى بيته في أسبوع، بناه بنفسه، كانت أمور الدنيا كلها ميسورة، البيت مثل ما ذكر عن ابن عمر يبنى بأسبوع بعشرة أيام، ويتعاون الناس عليه وما يكلف ولا يرهق الذمم، تجد الإنسان يحمِّل نفسه من الديون ما يجزم بل يستحيل أن يسددها؛ لأنه يعرف دخله، ويعرف كم بذل في هذا البناء من مآت الألوف أو الملايين لكن الأمر أهون من ذلك، لو عرف أنه في الدنيا غريب أو عابر سبيل ما شيد القصور وحمل نفسه وأرهق ذمته ما لا يطيقه، ولا مكث السنين يشيد هذا البيت، الناس الذين ما أدركناهم قالوا قبل خمسين البيت يُعمَر بمدة يسيرة، يقف الإنسان مريد بناء بيت يسكنه هو وأسرته في باب المسجد عند خروج الناس من الصلاة صلاة الظهر والعصر ويقول للناس: أعان الله من يعين، ثم هذا يحمل لبنة، وهذا يحمل طين، وهذا يأتي بماء، ويخلطون الطين واللبن وينتهي ولا يحتاج شيئا، لكن مشكلتنا أننا جعلنا هذه الدنيا هدفا، تجد الإنسان مجرد ما يصدر قرار تعيينه يفكر في المشاريع، يخطط لمشاريع ينويها بعد التقاعد أو بالوظيفة، معروفة دوام سنة، سنتان، ثلاث، عشر، وينتهي ما تحتاج تخطيط، لكن ماذا يصنع؟ هذا من طول الأمل أو من قصر الأمل؟ هذا من ضعف العقل، ابن عمر لما سمع قول النبي -عليه الصلاة والسلام- «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل» فورًا كان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا، لما سمعنا هذا الحديث غير من حياتنا شيئا؟! هل غير من حياتنا، زدنا ركعة في صلاة الليل؟ لم يغير من حياتنا شيئا، المسألة مسألة اتباع، مسألة اقتداء، تجعل هذا الرسول -عليه الصلاة والسلام-هذا الأسوة، هذا القدوة، هو الذي تنظر إليه وتقتدي به وتأتسي به، نسمع من قيامه -عليه الصلاة والسلام- حتى تورمت قدماه، ونسمع في الصحيح أنه في ركعة واحدة قرأ البقرة والنساء وآل عمران خمسة أجزاء في ركعة واحدة، وتظنونه أنه يقرأ الخمسة في ساعة أو ساعتين لا، هو يقتصر على ركعة واحدة؟ لا، نسمع هذا لكن مشكلتنا النظر إلى المقصرين، نقتدي بالمقصِّر وإن كان من أهل العلم هذا ليس بقدوة، القدوة محمد -عليه الصلاة والسلام- قام -عليه الصلاة والسلام- حتى تفطرت قدماه، وقيل له في ذلك غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا" أعطاك الله- جل وعلا- من النعم، أعطاك صحة، وأعطاك مالا، وأعطاك أمنا، وأعطاك ولدا وذرية، وأعطاك استقامة والتزاما، وأعطاك علما، ثم بعد ذلك لا تشكر هذه النعم؟! {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [سورة إبراهيم:٧] ولذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- «أفلا أكون عبدا شكورا؟!» طول الأمل هو الذي غر الناس وجعلهم يفكرون ويخططون لعشرات السنين، تجد المشاريع ضمانها مائة سنة، وكان الناس يعني من المفارقات العجيبة أنه كان الناس قبل خمسين أو ستين سنة يؤجرون البيوت مائة سنة، مائتي

سنة، ثلاثمائة سنة، وصل الأمر إلى ألف سنة، هذا من يتسق مع عيشهم الذي سمعنا عنهم هذا عجب! يسمونها الصبرة، يستأجر البيت مئتي سنة، ثلاثمائة سنة، ثم بعد ذلك يندم المؤجر أو المستأجر إذا لزم العقد، فإن زادت الأجور ندم المؤجر، وإن انخفضت الأجور ندم المستأجِر، طول الأمل يجعل الإنسان لا يبادر كما يقول الشيطان للمسلم إذا انتبه من نومه أو أراد أن يقوم عليك ليل طويل، ينظر إلى الساعة فإذا بقي على أذان الصبح ساعة قال ليل طويل فينام، وإذا بقي نصف ساعة فيقول باقي، وإذا بقي ربع ساعة قال باقي، ما يقوم يصلي ركعتين تنفعه في قبره لا، يقول الشيطان عليك طويل ويطيعه ويقيده عن طاعة الله- جل وعلا- والسبب هو الإنسان نفسه، هو الذي جعل الشيطان يقيده ويأمره ويطيعه؛ لأنه فرَّط وما بذل الأسباب، والشيطان يعقد على قافية أحدكم إذا نام ثلاث عقد، إذا قام وذكر الله انحلت عقدة، إذا توضأ انحلت عقدة، ثم يقوم ويصلي فتنحل العقد كلها، يصبح طيب النفس نشيطا مقبلا على أعماله ليس للشيطان عليه سبيل، وإذا أطاع الشيطان عليك ليل طويل ثم ينام، إذا انتبه وجد بقي من الوقت شيء رجع ينام، وإذا به يسمع الناس يخرجون من الصلاة ويفرغون منها وهذا موجود يعني في وقتنا وجود كثرة ليس قليلا موجود بكثرة حتى بين طلاب العلم أو بعضهم، يسمعون من الأقوال ويسمعون من الخلافات الشاذة وقد يتأثرون بها وتذيب بعض ما عندهم من حرص ولا ينظرون إلى ما ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام-.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.